الفصل الثاني

علم البيـان

- المبحث الأول : التشبيه
- المبحث الثاني : المجـاز
- المبحث الثالث : الاستعارة
- المبحث الرابع: الكنايـة

تعريف علم البيـــان

تمهيد :

البيانُ في اللُّغَةِ :

البَيَانُ: ما بُيِّنَ به الشَّيءُ من الدَّلالة وغيرها، وبَانَ الشيءُ بياناً: اتّضحَ، فهو بَيِّنٌ، والجمعُ: أَبْيِناء، وكذلك أَبَانَ الشيء فهو مُبِينٌ[1].

والبيَان: الفَصَاحَة واللَّسَن، وفي الحديث (إن من البيان لسحراً) وفلانٌ أَبْيَنُ من فلانٍ: أي أفصحُ منه وأوضح كلاماً، وبَانَ الشيءُ يَبِينُ بياناً: اتَّضح، فهو بَيِّنٌ[2].

وكلمة (البيان) في كل معاجم اللغة يدور معناها حول الظهور والوضوح والإفصاح.

البيان في الاصطلاح :

عرَّفه الجاحظ بقوله: الدلالةُ الظاهرةُ على المعنى الخفيّ هو البيانُ الذي سمعتَ الله عزّ وجلّ يمدحه ويدعو إليه ويحثُّ عليه، بذلك نَطَقَ القُرآنُ، وبذلك تفاخَرَت العَرب، وتفاضَلَت أصنافُ العَجَم، والبيان اسمٌ جامعٌ لكلّ شيءٍ كشَفَ لك قِناعَ المعنى، وهتكَ الحِجَاب دون الضمير، حتّى يُفْضِي السّامعُ إلى حقيقته، ويَهجُم على محصولِه كائناً ما كان ذلك البيانُ ومن أيّ جنسٍ كان الدّليل,لأنّ مَدَار الأمرِ والغايةَ التي إليها يجري القائل والسّامع، إنَّما هو الفَهْمُ والإفهام فبأيّ شيءٍ بلغْتَ الإفهامَ وأوضَحْتَ عن المعنى، فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع"[3].

وجعل جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ ، وغير لفظ خمسة أشياء ، لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نِصْبَه[4].

أما عبد القاهر الجرجاني فهو يرى أن البيان (الاستعارة ، والكناية ، والتمثيل ، وسائر ضروب المجاز.. من مقتضيات النظم ، وعنه يحدث وبه يكون)[5].

وعرَّفه الخطيب القزويني* بقوله: "علم يُعرَف به إيرادُ المعنى الواحدِ بطرقٍ مختلفةٍ في وضوحِ الدَّلالة عَليهِ "[6].

---

[1] ابن منظور ، مادة (بين) ، مرجع سابق ، مج13، ص79

[2] الرازي،محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح،عني بترتيبه : محمود خاطر بك ،القاهرة ، دار الحديث،د.ت، باب (الباء) ص43

[3] الجاحظ ،مرجع سابق ، ج1، ص75 ، 76

[4] نفس المرجع السابق ، ج1، ص ، 76

[5] راجع الجرجاني ،دلائل الاعجاز ،مرجع سابق ص393

*القزويني: هو علي بن محمد بن أحمد ، أبو الحسن، تاج الدين القزويني ، من قزوين،سكن بغداد، له نثر ونظم وأدب،وله تصانيف كثيرة منها (شروح المصابيح) للبغوي، (العجاب) في النحو، مقامات الحريري ،وغيرها، توفى سنة 739هـ. السيوطي ،بغية الوعاة 217/2.

[6] القزويني ، مرجع سابق ،ص 163

وقد كان مصطلح (علم البيان) رديفاً لكلمة البلاغة بعامة، فلم يكن له إطار واضح الحدود، إلى أن استقرت المباحث البلاغية، وخُص علم البيان ببحث الصور الكلامية المؤثرة.

وسمي هذا العلم بـ (علم البيان) لأن له مزيد تعلّق بالوضوح والبيان ، من حيث أن علم البيان يعرف به اختلاف طرق الدلالة في الوضوح والبيان[7] .

وبالنظر إلى تعريف القزويني يتضح أن البيان ينصب على دلالة الألفاظ على معانيهاوهي أنواع:

أ-**دلالة المطابقة**(الدلالة الوضعية) : وهي دلالة اللفظ على تمام مُاضِع له في اللغة من غير زيادة أو نقصان. كدلالة لفظ "أسد" على الحيوان المفترس ، ولفظ (إنسان) على الحيوان الناطق . وسميت دلالة اللفظ على معناه الوضعي : دلالة مطابقة ، لتطابق اللفظ والمعنى بحيث إذا أطلق اللفظ فهم السامع معناه ، ولا يفتقر العقل في إدراك المعنى من اللفظ إلى شيء آخر غير الوضع. وهذا الوجه من أوجه الدلالة لا يتأتى فيه التفاوت في درجة الوضوح ، ولذا لا يلتفت إليه البيانيون التفاتاً أصيلاً[8].

ب-**الدلالة التضمنية:**والمقصود بها دلالة اللفظ على جزء معناه ، وهي ترتبط بما يسمى (المجاز المرسل) الذي علاقته الكلية ، ومن أمثلتها (شربت ماء النيل) والمراد شُرب بعض الماء؛ و(سكنت القاهرة) والمراد بيت من بيوتها . ومثل قوله تعالى:(يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ)[9]، حيث أطلقت الأصابع والمراد أطراف الأنامل وقوله تعالى:(السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا..)[10] والمراد قطع اليد إلى الرسغ وليس كل اليد . ومن هنا فالمجاز في الألفاظ السابقة (الماء ، القاهرة ، الأصابع ، الأيدي) قائم على علاقة الكلية ؛ إذ أن معنى اللفظ (كل)، في حين أن المقصود به الذي يتضمنه معنى اللفظ (بعض) ؛ وتصبح دلالة اللفظ على جزء معناه أو بعضه تضمنية[11] .

ج-**الدلالة الالتزامية:** وهي دلالة اللفظ على معنى خارج عن المعنى الذي وضعه له واضع اللغة ، لازم له في الذهن ، وهذا اللزوم الذهني قد يكون مبنياً على مجرد النظر العقلي دون تدخل عُرف أو اصطلاح كدلالة قولنا : العالم متغير ، على حدوث العالم ، فقد ثبت في حكم العقل التلازم بين تغير العالم وحدوثه ، وقد يكون مبنياً على عُرف عام مشهور كدلالة لفظ (أسد) على

---

[7] بدوي طَبَانَة، معجم البلاغة العربية ، جدة، دار المنارة للنشر والتوزيع ، ط3 ، 1408هـ -1988م ،ص97.

[8] بسيوني عبد الفتاح فيود ،علم البيان، دراسة تحليلية لمسائل البيان، القاهرة ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،ط2، 1418هـ-1998م،ص13

[9] سورة نوح ، الآية 7

[10] سورة المائدة ، الآية 38

[11] محمد سليمان ياقوت ، علم الجمال اللغوي (المعاني، البيان ، البديع) ، الاسكندرية ،مصر، دار المعرفة الجامعية ،د.ط ، 1995م ، ج2، ص 475

الشجاعة، فالذهن يدرك التلازم بين الأسد والشجاعة ، اعتماداً على ما اشتهر في عرف الناس من التلازم بينهما ، وقد يكون مبنياً على طبيعة مستقرة في إنسان أو حيوان ، كدلالة حمرة الوجه على الخجل ، وجبن الكلب على الكرم ،أو على عادة مشهورة كدلالة إيقاد النار في مكان مرتفع على الكرم ، إذ أن من طبيعة الإنسان أن يحمر وجهه عند الخجل ، ومن طبيعة الكلب أن يجبن أمام من اعتاد رؤيته ، ومن عادة العرب إشعال النيران في الأماكن العالية ليسترشد بها القادم إليهم[12].

ومن أمثلة هذا النوع من الدلالة قول العرب (فلانة بعيدة مهوى القُرْط) في وصف طول "الْجِيد" ، فلم يذكروه بلفظه الخاص ، بل أتوا بمعنى هو تابع لطول الجيد وهو بُعد مهوى القُرط. ويصنف هذا التعبير أو التركيب وأمثاله في (علم البيان) تحت مصطلح (الكناية) التي يعرفونها بأنها لفظٌ أُطْلِق وأُريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة ذلك المعنى ؛ أي إن المعنى القريب في الكناية محتمل ، بل إنه ليس مرفوضاً ، ولكن المعنى البعيد هو المطلوب لأنه يؤدي إلى تحقيق الجمال في الأداء اللغوي على المستوى البلاغي الذي يلجأُيه المتكلِم إلى التأنق في العبارة وحسن النظم وما يناسبه من الألفاظ[13].

والبيانيون يعتمدون على دلالتي "التضمين والالتزام" في تحقيق الغاية المقصودة من علم البيان وهي الاقتدار على إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه .

ويجب على البياني أن يراعي بالإضافة إلى وضوح الدلالة على المعنى الذي يريد أداءه مطابقته لمقتضى الحال ، فيجمع بذلك بين وظيفتي علم البيان وعلم المعاني . فلا يخاطب السوقي بلغة التشبيهات الخفية والاستعارات الغريبة ، ولا يخاطب الأديب المتمرس في ضروب البيان بأسلوب الحقيقة المجردة أو التشبيهات القريبة أو الاستعارات المبتذلة أو الكنايات الواضحة ؛ لأن في كلا الحالين حياد عن الطريق السوي ، وبهذا الصنيع يكون قد تغافل عن وظيفة علم المعاني ؛ وهي مراعاة المطابقة لمقتضى الحال[14] .

أبواب علم البيان :

إذا استعمل اللفظ في معناه الموضوع لهفحقيقة ، وإن استعمل في غيره ، لعلاقة مع قرينة، فإما مانعة من إرادة المعنى الأصلي فمجاز ، وإما غير مانعة فكناية .

والمجاز إذا كان لعلاقة المشابهة فاستعارة ، مفرداً كان أو مركباً ، وإن كان لعلاقة غير المشابهة فإن كان مفرداً سمي مجازاً مرسلاً ، وإن كان مركباً قيل له مجاز مركب مرسل.والاستعارة

---

[12] بسيوني عبد الفتاح فيود ،مرجع سابق ، ص13

[13] محمد سليمان ياقوت،مرجع سابق ، ج2، ص 475

[14] بسيوني عبد الفتاح فيود ،مرجع سابق ، ص14

مبنية على التشبيه ، فوجب التعر ّض له . إذن فأبواب هذا الفن أربعة :التشبيه – المجاز بقسميه – الكناية [15]

واضع علم البيان :

هو أبو عُبيدة معمر بن المثنى[1*] الذي دَوَّنَ مسائل هذا العلم في كتابه المسمى" مجاز القرآن"، وتبعه الجاحظ ، وابن المعتز[2*]، وقدامة بن جعفر[3*]، وأبو هلال العسكري. وما زال ينمو شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى الإمام عبد القاهر الجرجاني فأحكم أساسه ، وشيَّد بناءه ورتب قواعده.

ثمرة علم البيان :

ثمرته الوقوف على أسرار كلام العرب ، منثوره ومنظومه ، ومعرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة وتباين درجات البلاغة التي يصل بها إلى مرتبة أعجاز القرآن الكريم الذي عجز عن مجاراته الأنس والجن[16] .

---

[15]أحمد مصطفى المراغي ،علوم البلاغة (البيان ولمعاني والبديع) ، بيروت،لبنان ، دار الكتب العلمية ،ط3، 1993م-1414هـ ،ص2

[1*]معمر بن المثنى (110 – 209هـ = 728 – 824م) : هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء ، البصري ، أبو عبيدة النحوي ، من أئمة العلم بالأدب واللغة ، مولده ووفاته في البصرة . استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة 188هـ ، وقرأ عليه أشياء من كتبه . كان إباضياً ،شعوبياً ، من حفاظ الحديث . له نحو 200 مؤلف منها : نقائض جرير والفرزدق ، ومجاز القرآن ، ومآثر العرب ، وغيرها . الزركلي 7/ 272

[2*]ابن المعتز (247 – 296هـ = 861 – 909م) : هو عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي ، أبو العباس . الشاعر العباسي المبدع ، ولد في بغداد وأولع بالأدب ، بويع بالخلافة ،فأقام فيها يوماً وليلة ، ووثب إليه غلمانالمقتدر فقتلوه ، له ديوان شعر مطبوع ، ومصنفات عديدة منها (البديع) ، (وأشعار الملوك) و(الزهر والرياض)،وغيرها . الزركلي 4/ 118

[3*]قُدامَة بن جعفر (... – 337هـ = ... – 948م) : هو قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي ، أبو الفرج .كاتب ، من البلغاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة .كان في أيام المكتفي بالله العباسي، واسلم على يده . توفى ببغداد . يضرب به المثل في في البلاغة. له كتب عديدة منها: (نقد الشعر) ، (جواهر الألفاظ)، (الخراج) وغيرها .الزركلي5/191

[16]أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ضبط وتدقيق وتوثيق : يوسف الصميلي ، بيروت ،المكتبة العصرية، د.ط،د.ت ، ص217

المبحـــث الأول

التشبيه

التشبيه لغةً :

شـ ِ بـ ْ ـه والشَّ بـ َ ـه والشَّ بِـيه : المِـثل ُ ، والجمع أشباهٌ . وأشبه الشيئ ُ الشيئ َ : ماثله . والتشبيه التمثيل[17].

التشبيه اصطلاحاً :

عرَّفه القزويني بأنه " الدلالةُ على مشاركة أمرٍ لآخر في معنى[18]" .

وعرّفه ابن رشيقبقوله: " التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة ، لا من جميع جهاته[19] .

وهو عند جميع البلاغيين لا يخرج عن هذا المعنى ، وهو (مشاركة أمر لأمر في معنى) .

ويلاحظ أن شرط المشابهة في تعريف ابن رشيق (أن لا تكون من جميع الجهات) وعلى هذا مذهب البلاغيين ، يوضحه أبو هلال العسكري بقوله :

" ويصح تشبيه الشيء بالشيء جملة وإن شابهه من وجه واحد ، مثل قولك: وجهك مثل الشمس –ومثل البدر ، وإن لم يكن مثلهما في ضيائهما وعلوهما ولا عظمهما ، وإنما شبهه بهما لمعنى يجمعهما وإياه ؛ وهو الحسن . وعلى هذا قول الله عز وجل: (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ)[20]وإنما شبه المراكب بالجبال من جهة عظمها لا من جهة صلابتها ورسوخها ورزانتها ، ولو أشبه الشيء الشيء من جميع جهاته لكان هو هو"[21] .

وقد اتفق العقلاء على شرف قدره ، وفخامة أمره في فن البلاغة ، وتعقيب المعاني، به يُضاعِف قُواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها ، مدحاً كانت أو ذمَّاً ، أو افتخاراً ، أو غير ذلك[22] .

والتشبيه كذلك يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيداً ، ولهذا ما أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه ولم يستغن أحدٌ منهم عنه[23] .

للتشبيه أربعة أركان هي :

---

[17]ابن منظور، مرجع سابق ، مادة شبه ، مج13، ص 622، 623

[18]القزويني ،مرجع سابق، ص 164

[19]ابن رشيق،مرجع سابق ، ج1، ص289

[20]سورة الرحمن ، الآية (24)

[21]أبو هلال العسكري ،مرجع سابق، ص 261 ، 262

[22]القزويني، مرجع سابق، ص 164

[23]أبو هلال العسكري ،مرجع سابق ، ص265

1- المشبه

2- المشبه به ، (ويسميان بطرفي التشبيه)

3- أداة التشبيه

4- وجه الشبه

تقسيم التشبيه باعتبار طرفيه:

أولاً : تقسيم طرفي التشبيه إلى حسي وعقلي :

طرفا التشبيه (المشبه والمشبه به):

إما حسيَّة، كما في تشبيه الخد بالورد، والقَدّ بالرمح، والفيل بالجبل في المبصرات، والصوت الضعيف بالهمس في المسموعات، والنكهة بالعنبر في المشمومات، والريق بالخمر في المذوقات، والجلد الناعم بالحرير في الملموسات.

وإما عقليان؛ كما في تشبيه العلم بالحياة.

وإما مختلفان: أي أن المشبه حسي والمشبه به عقلي ، كما في تشبيه العطر بخُلُق كريم.

أو المشبه عقلي والمشبه به حسي كما في تشبيه المنية بالسبع .

والمراد بالحسي ، المدرَك -هو أو مادته- بإحدى الحواس الخمس الظاهرة؛ فدخل فيه الخيالي كما في قوله[24] :

وكأنَّ مُحْمرَّ الشَّقيقِ إذا تصَوَّبَ أو تَصَعَّدْ

أَلْقى لَهُ بِأَنامِلٍ دُمُشٍ عَلَى رِمَاحٍ مِنْ زَبَرْجَدْ [25]

والمراد بـ "العقلي" ما عدا ذلك، فدخل فيه الوهمي؛ وهو ما ليس مدركا بشيء من الحواس الخمس الظاهرة، [مدرك بالعقل] مع أنه لم يُدرك إلا بها؛ كما في قول امرئ القيس*:

أَيَقتُلُني وَالمَشرَفِيُّ مُضاجِعي وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ [26]

---

[24] القزويني، مرجع سابق ، ص 168

[25] ذكره :العلوي ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم ،في كتابه الطراز ،تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، بيروت ، المكتبة العصرية ، ط1، 1423هـ- 2002م ، ج1، ص142 ، وذكره الجرجاني في أسرار البلاغة ص،159 ، ج1 ،والقزويني في الإيضاح ص 168. والبيت منسوب للصنوبري (أحمد محمد الحلبي) .

*امرؤ القيس (نحو 130-80 ق هـ =نحو 497 – 545م) : هو امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث الكندي ، من بني آكل المرار ، أشهر شعراء العرب على الإطلاق ، يماني الأصل ، مولده بنجد أو بمخلاف السكاسك باليمن . ابن اخت الشاعر المهلهل ، الذي لقنه الشعر وهو غلام . أشتهر بلقبه ، واختلف المؤرخون في اسمه ، فقيل حُنْدُج ، وقيل مليكة ، وقيل عدي . له ديوان شعر مطبوع .الزركلي 11/2

وعليه قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾[27]، ويدخل في العقلي كذلك كل يدرك بالوجدان؛ كاللذة، والألم، والشبع، والجوع[28].

ثانياً : تقسيم طرفي التشبيه باعتبار الإفراد والتركيب :

الأول : تشبيه المفرد بالمفرد :

وهو ما طرفاه مفردان (مطلقان أو مقيدان)[29]. أو مختلفان:

المطلقان : نحو تشبيه الخد بالورد ونحوه .

المقيدان : نحو قولهم لمن لا يحصل من سعيه على شيء (هو القابض على الماء ، وكالراقم في الماء)[30].

ما طرفاه مختلفان أي أن يكون أحدهما مقيداً والآخر مطلقاً. وذلك نحو قول الشاعر :

والشمسُ كالمرآةِ في كفِّ الأشلّ [31].

فإن المشبه هو الشمس على الإطلاق ، والمشبه به هو المرآة ، لا على الإطلاق بل يقيد كونها في يد الأشل ، (فالمقيد هنا المشبه به) .أو على العكس ، فقد يكون المقيد هو المشبه ، وذلك كتشبيه المرآة في كف الأشل بالشمس[32].

الثاني : تشبيه المركب بالمركب (الطرفان مركبان)

- إما مركبان تركيباً لم يمكن إفراد أجزائهما ، كقول الشاعر :

كأنّ سُهيلاً والنّجوم وُراءهُ صفوفُ صلاةٍ قام فيها إمامُها[33]

إذ لو قلت كأن سهيلاً إمام ، وكأن النجوم صفوف صلاة ، لذهبت فائدة التشبيه .

- أو مركبان تركيباً إذا أفردت أجزاؤه زال المقصود من هيئة المشبه به كما في قول الشاعر:

---

[26] امرئ القيس ، الديوان ، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي ، بيروت –لبنان ، منشورات محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية ، ط5 ،2004م-1425هـ .

[27] سورة الصافات ، الآية 65 .

[28] القزويني ،مرجع سابق ، ص 169

[29] التقييد قد يكون بالإضافة، أو الوصف، أو المفعول، أو الحال ، أو الظرف ، أو بغير ذلك. ويشترط في القيد أن يكون له تأثير في وجه الشبه .

[30] القزويني ،مرجع سابق ، ص 186

[31] أورده: البغدادي، عبد القادر بن عمر في كتابه خزانة الأدب ولبّ لُباب لسان العرب، تحقيق وشرح :عبد السلام محمد هارون،القاهرة، مكتبة الخانجي، ط4، 1997م-1418هـ ، ج4،ص241. والبيت من الرجز ، ونسبه البغدادي للشاعر جبَّار بن جَزْء بن ضرار،ابن أخ الشماخ . وصدر البيت : (سبقٌ لمّا غَفَلْ)، كما ذكره الجرجاني في اسرار البلاغة ص158 ،والقزويني في الإيضاح ص187.

[32] القزويني ، مرجع سابق، ص 187

[33] ذكره أحمد الهاشمي بلا نسبة في جواهر البلاغة، ص223

و كأنّ الزبرجد الذي زرّ عليه نثر على بساط أزرق [34]

حيث شبّه النجوم اللامعة في كبد السماء منتثر على بساط أزرق . إذ لو قلت (كأن النجوم درر ، وكأن السماء بساط أزرق) لكان التشبيه مقبولاً لكنه قد زال منه المقصود بهيئة المشبه به[35] .

الثالث : تشبيه المفرد بالمركب:

ومثال ذلك قوله تعالى :

(مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ [36])[37].

(مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ)[37].

مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ. و الرَّمَادُ مَا ء ، فَضَرَبَ بِهِ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ مَثَلاً لأَعْمَالِ الْكُفَّارِ فِي أَنَّهُ يُحَمِّ تَقُمُّهُ حَاقُ الرِّيحُ مَادَ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ . و الْعَصْفُ كَانَ دَّةُ ذَلِكَ يَلِ، فَهُ امِدٌّ أَشْرَكُوا فِيهَا غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى يَهْدِي رَعُونَ فِي الْمَكْرُمَاتِ.فَإِنَّهُمْ الْآخِرَةِ،أَيْ) مِنْ ثَوَابِ مَا عَمِلُوا مِنَ الْبِرِّ فِي الدُّنْيَا، لِإِحْبَاطِهِ بِالْكُفْرِ الْمَحْسُوسُ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ، وَإِنَّمَا جَعَلَهُ كَبِيرًا عِيدًا الْفَوَاتِ اسْتِدْرَاكِهِ بِالْمَوْتِ "[38].

شُبِّهت أعمال الكفار التي تكون لغير الله تعالى برماد،اشتدت به الريح في يوم عاصف، فطيرته، وفرقته ، ولم تبق له على أثر، وكذلك تعصف رياح الكفر، والأهواء الفاسدة بالأعمال، التي تبنى على أساس غير صحيح، فتفسدها، وتوقع صاحبها في النار. فالمشبه مفرد (أعمال الكفار) والمشبه به مركب وهو (كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف...) .

ومثاله من الشعر ، قول البحتري[1]*يصف سيفاً :

---

[34] ذكره : الثعالبي، أبو منصورعبدالملك النيسابُوري ،في كتابه"يتيمة الدَّهر في محاسن أهل العَصْر" شرح وتحقيق: مفيد محمد قميحة ، بيروت، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، ط1، 1420هـ-2000م ،ج1، ص346. وذكره الجرجاني في اسرار البلاغة ص،159، والقزويني في الإيضاح ص174 والبيت منسوب لأبي طالب الرقي.

[35] أحمد الهاشمي، مرجع سابق ، ص 223

[36] سورة إبراهيم ، الآية (18)

[37] ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مرجع سابق، ج2، ص146

1. القرطبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن-تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية ،ط2، 1384هـ - 1964م، مج9، ص 353، 354

1* البحتري (206- 284هـ = 821 – 898م): هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي ، أبو عبادة ، أحد أشهر الشعراء العرب في العصر العباسي.يقال لشعره سلاسل الذهب، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم، المتنبي وأبو تمام والبحتري، ولد في منبج (بين حلب والفرات) ورحل إلى العراق فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي ، ثم عاد إلى الشام وتوفي بمنبج له ديوان شعر مطبوع وكتاب الحماسة على مثال حماسة أبي تمام .الأعلام 8 /121.

سُودُ الذَّمالِ وكُثْمارُها دَبَّتْ بأيدٍ في قواهُ وأَرْجُلِ [39]

شبه فِرِنْدَ السيف بدبيب النمل ، سُودِها وحُمرِها[40].

فالمشبه مفرد (فرند السيف) والمشبه به مركب وهو (دبيب النمل سودها وحمرها...) .

الرابع :تشبيه المركب بالمفرد :

نحو قول أبي تمام[2]*:

يا صاحِبَيَّ تَقَصَّيا نَظَرَيكُما يَا وُجوهَ الأرضِ كيفَ تَصَوَّرُ [41]

تَرَيا نهاراً مُشمِساً قد شابَهُ رُ الرُّبا زفكأنَّما هوَ مُقمِرُ [42]

يعني أن النبات من شدة خضرته ، مع كثرته وتكاثفه قد صار لونه إلى الأسود ، فنقص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر[43] .

ثالثاً : تقسيم طرفي التشبيه باعتبار تعددهما :

ينقسم طرفا التشبيه (المشبه والمشبه به) باعتبار تعددهما إلى أربعة أقسام :

(ملفوف ، ومفروق ، وتسوية، و جمع).

1- الملفوف :هو جمع كل طرف منهما مع مثله، كجمع المشبه مع المشبه ، والمشبه به مع المشبه به، بحيث يُؤتى بالمشبهات أولاً ، ثم بالمشبهات بها ثانياً ، نحو قول ابن المعتز:

لَيْلٌ بدرٌ وغصنٌ شعرٌ ووجهٌ وقدٌ[44]

[شبه الليل بالشعر، والبدر بالوجه، والغصن بالقد، وقدذكر المشبهات أولاً والمشبهات بها ثانياً].

2- المفروق :جمع كل مشبه مع ما شُبِّه به . كقول الشاعر

الشَّعْرُ مِسْكٌ والوجوهُ دَنَانِيرُ وأطرافُ الأكُفِّ عَنَمُ [45]

---

[39] البحتري، ديوان، شرحه وعلّق عليه محمد التونجي ، بيروت-لبنان، دار الكتاب العربي،د.ط، 1426 هـ-2005م ،ج2 ،ص292 . وفي رواية الديوان (في قَراهُ) والقرا :الظهر

[40] ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، مرجع سابق، ج2، ص148

[2]* أبو تمام : (188 – 231هـ = 804 – 846م): هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي ، أبو تمام ، الشاعر ، الأديب ، أحد أمراء البيان ،امتاز شعره بالقوة والجزالة ، ولد في جاسم (من قرى حوران بسوريا) ورحل إلى مصر ، واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدّمه على شعراء وقته ، فأقام في العراق . ثم ولي بريد الموصل ، فلم يتم سنتين حتى توفي بها .له ديوان شعر مطبوع ، ومصنافات أخرى منها (فحول الشعراء ، وديوان الحماسة).الأعلام 165/2.

[41] تُصَيِّرُ بألوان الزهر

[42] الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه:راجي الأسمر ، بيروت،دار الكتاب العربي ،ط2، 1414هـ -1994م ج1،ص333

[43] القزويني ،مرجع سابق، ص 189

[44] ذكره: النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، في كتابه :نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق :علي بو ملحم ،بيروت ، منشوارت محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ-2004م ،ج7، ص40. وذكره العلوي في الطراز ،ج1، ص150. ولم أجده في ديوان ابن المعتز.

[45] البيت للمرقش الأكبرديوان المرقّشين : (المرقش الأكبر عمرو بن سعد المتوفى عام 57ق.هـ)و(المرقش الأصغر عمرو بن حرملة المتوفى عام 50 ق.هـ) ،تحقيق :كارين صادر، بيروت،دار صادر للطباعة والنشر ، ط1 ، 1998م ، ص68 . العَنَمُ : شجرٌ له ثمر أحمر، يشبَّه به بنانُ الجواري المخضب.

[شبَّه الرائحة الطيبة بالمسك ، والوجوه بالدنانير ، وأطراف الأكف بالعنم]

3- **تشبيه التسوية** :هو أن يتعدد المشبه ، دون المشبه به ، كقول الشاعر :

صدغُ الحبيب[46] وحالي كلاهما كالليالي

وثغرُ هِ وسفاهٍ وأدمعي كاللآلي[47]

شبه الشاعر صدغ الحبيب (وهو الشعر) وحاله بالليالي في السواد ، وشبه ثغر الحبيب ودموعه باللآلي في الصفاء والإشراق ، وسمي بتشبيه التسوية ؛ للتسوية فيه بين المشبهات.

4- **تشبيه الجمع** : هو أنيتعدد المشبه به ، دون المشبه. كقول الشاعر:

يَبكْسَأَنَّمَ ُا[48]نَ ْ لُؤْ لُؤٍ مُ ذَضأَّودٍ[49] بَرَ أَوٍ[50] أَقَاحْ [51]

شبه ثغر المحبوب بثلاثة أشياء المنضد، والبرد ، والأقاح المشبه به متعدد. وسمي بتشبيه الجمع ، للجمع فيه بين ثلاثة مشبهات[52].

التشبيه باعتبار وجه الشبه:

وجه الشبه هو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقاً أو تخيلاً . والمراد بالتحقيق هنا أن يتقرر المعنى المشترك في كل من الطرفين على وجه التحقيق . وذلك نحو تشبيه الرجل بالأسد. فالشجاعة هي المعنى المشترك أو الصفة الجامعة بينهما، وهي على حقيقتها موجودة في الإنسان. وإنما يكون الفرق بين الإنسان والأسد الذي شُبِّه به من جهة قوة الشجاعة وضعفها، وزيادتها ونقصانها.

ومن ذلك أيضاً تشبيه الشعر بالليل ، ووجه الشبه بينهما هو السواد ، وهو مأخوذ من صفة حقيقية موجودة في الطرفين ، وإن كان هناك فرق في الصفة فهو في قوتها وضعفها .

---

[46]الصدغ (بضم الصاد) : ما بين العين والأذن . والشعر المتدلي على هذا الموضع هو المراد هنا .

[47]أورده النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب (بلا نسبة)،ج7، ص38 . والهاشمي في جواهر البلاغة ص 225

[48]البيت للبحتري في ديوانه ،مرجع سابق ،ج1 ،ص189

[49]المنضد : المنظم – وفي الديوان وردت (المنظم).

[50]البرد : حب الغمام

[51]الأقحوان : نبات له زهر أبيض ، في وسطه كتلة صغيرة صفراء وأوراق زهره مفلجة صغيرة ، واحدته قُحوانة بضم القاف .

[52]أحمد الهاشمي، مرجع سابق ،ص 225 ، 226

والمراد بالتخييل ، أن لا يمكن وجوده في المشبه به إلا على سبيل التخييل والتأويل[53].

ومثالذلك قول الشاعر :

وكأنَّ الجوَّ بينَ دجُاهَ ا سُنَّةٌ لاحَ بينَهُنَّ ابتداعُ [54]

فإن وجه الشبه فيه ، الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بِيض في جوانب شيء مظلم أسود؛ فهي غير موجودة في المشبه به إلا على طريق التخييل، وذلك أنه لما كانت البدعة والضلالة وكل ما هو جهل يجعل صاحبها في حكم من يمشي في الظلمة، فلا يهتدي إلى الطريق، ولا يفصل الشيء من غيره؛ فلا يأمَن أن يتردّى في مَهْوَاة؛شبُِهت بالظلمة، ولزم -على عكس ذلك- أن تشبه السنة والهدى وكل ما هو علم بالنور، وعليهيأُخِذَ تشبيه :(مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)[55].

من التشبيه التخييلي قول الشاعر:

ولقد ذكرتُكِ والظلامُ كأنَّه يومُ والنَّوى وفؤادمُنَ مْلْيعَشْقَ [56]

فإنه لما كانت أيام المكاره توصف بالسواد توسعاًفيقال: "اسوْدَّ النهار فيعيني، وأظلمت الدنيا عليَّ "، وكان الغَزِل يدَّعي القسوة على من لم يعشق، والقلب القاسي يوصف بالسواد توسعاً ، تخيل يوم النوى وفؤاد من لم يعشق شيئين لهما سواد، وجعلهما أعرف به، وأشهر من الظلام، فشبّهه بهما[57].

---

[53]عبد العزيز عتيق، علم البيان ، بيروت- لبنان ، دار النهضة العربية ، د.ط ، 1405هـ - 1985م ،ص 83

[54]ذكره الثعالبي في يتيمة الدَّهر ،ج2، ص395. وذكره الجرجاني في اسرار البلاغة ص225، والقزويني في الإيضاح ص169. والبيت منسوب للقاضي التنوخي.والمقصود بالسنن : الشرائع . والابتداع : من البدعة التي ليست من الشريعة .

[55]سورة المائدة ، الآية 16

[56]ذكره الثعالبي في يتيمة الدَّهر ،ج1، ص346. وذكره الجرجاني في اسرار البلاغة ص،227، والقزويني في الإيضاح ص170، والسكاكي في المفتاح ص343. والبيت منسوب لأبي طالب الرقي.

[57]القزويني، مرجع سابق ، ص169 ، 170

وجه الشبه من حيث الإفراد والتعدد :

ينقسم وجه الشبه من حيث الإفراد والتعدد إلى عدة أقسام ، هي :

القسم الأول: أن يكون وجه الشبه مفرداً[58] حسياً ، كقوله تعالى: **(وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ)**[59].

شبهت السفينة الجارية في البحر بالجبال ، ووجه الشبه الضخامة ، وهو واحد حسي، وكذلك طرفا التشبيه المشبه (السفن) والمشبه به (الأعلام) مفردان حسيان .

ومثل ذلك أيضاً الخد إذا شبه بالورد في الحمرة ، والجلد الناعم إذا شبه بالحرير في لين الملمس ، وغيرها .

ووجه الشبه المفرد الحسي لا ينتزع إلا من طرفين مفردين . كما في الأمثلة المذكورة، وذلك لأن تركيب الطرفين يستدعي تركيب وجه الشبه ، فيتحتم أن يكون طرفاه مفردين ، وكذلك الغالب في هذا الوجه أن يكون طرفاه حسيين ، ولا ينتزع من طرف عقلي إلا بتأويل وتخييل كما في قول الشاعر :

وأرضٍ كأخلاق الكرام قطعتُها وقد كَلَ اللياللسُ ّمِ اَك فابصر ا[60]

فالمشبه في البيت مفرد حسي وهو الأرض ، والمشبه بها مفرد عقلي وهو أخلاق الكرام. وقد جمع بينهما الشاعر في وجه شبه حسي وهو: السعة الامتداد والانبساط ، ولكن هذا الوجه موجود في المشبه الحسي على جهة التحقيق وموجود في المشبه به العقلي على طريق التخييل والتأويل[61] .

---

[58]وجه الشبه المفرد أو (الواحد):وهو ما كان شيئاً واحداً لا تركيب فيه ولا تعدد، كالحمرة في تشبيه الخد بالورد، والجرأة في تشبيه الرجل الجريئ بالأسد.

[59]سورة الرحمن ، الآية (24)

[60]أورده النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب ،ج7، ص36 . والجرجاني في أسرار البلاغة ص230 ، والقزويني في الإيضاح ص 170 .والبيت منسوب لابن بابَك .

[61]بسيوني عبد الفتاح فيود ، مرجع سابق، ص 56 ، 57

القسم الثاني: أن يكون وجه الشبه مفرداً عقلياً ، وينتزع هذا الوجه من طرفين مفردين حسيين، كانتزاع الشجاعة من الرجل الشجاع والأسد في قولنا : هذا الرجل كالأسد ،فوجه الشبه هو : الشجاعة ، واحد عقلي . كما ينتزع من طرفين مفردين عقليين نحو قولنا : العلم كالحياة ، فوجه الشبه هو جهة الإدراك ، مفرد عقلي ، وقد انتزع من طرفين مفردين عقليين.

وقد ينتزع هذا الوجه أيضاً من طرفين مفردين مختلفين كانتزاع الاغتيال من المنية والسبع عند تشبيهنا المنية بالأسد ، فالمشبه وهو المنية عقلي والمشبه به الأسد وهو حسي ، وقد انتزع منهما وجه الشبه المفرد العقلي وهو الاغتيال . كذلك كتشبيه العدل بالقسطاس في تحصيل ما بين الزيادة والنقصان ، فالمشبه مفرد عقلي وهو العدل ، والمشبه به مفرد حسي وهو القسطاس ، وقد انتزع منهما وجه الشبه المذكور وهو واحد عقلي.

إذن التشبيه بالوجه المفرد العقلي لا ينتزع إلا من الأطراف المفردة للسبب المذكور في الوجه الواحد الحسي، وهو أعم من التشبيه بالوجه الحسي لأن وجه الشبه فيه لا ينتزع من الأطراف الحسية وحدها ولا من الأطراف العقلية وحدها بل يعمهما جميعاً ، بينما وجه الشبه الحسي ينتزع من الأطراف الحسية غالباً ولا ينتزع من الطرف العقلي إلا بتخييل وتأول[62].

القسم الثالث:أن يكون وجه الشبه مركباً [63]حسياً ، والغالب في هذا الوجه أن ينتزع من طرفين حسيين ، ولا يمكن انتزاعه من الأطراف العقلية إلا بتخييل وتأول .

ومثال ذلك قول الشاعر :

وكأنَّ الجوَّ بَيْنَ نَجُاهَ ا سُنَنٌ لاحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ

فوجه الشبه هنا هو الهيئة الحاصلة من وجود أشياء مشرقة مضيئة في جوانب شيء مظلم، وهو مركب حسي ، وقد وجد في المشبه على وجه التحقيق وفي المشبه به عن طريق التخييل والتأول .

ويتأتى انتزاع وجه الشبه المركب الحسي أيضاً من من طرفين مفردين[64].

---

[62]نفس المرجع السابق ، ص57، 58

[63]وجه الشبه المركب : وهو ما تألف من عدة أمور أمتزجت واتحدت وكونت هيئة واحدة لا يمكن تجزئتها ، وذلك كالهيئة المكونة من سقوط أجرام بيض مستطيلة في جوانب شئ مظلم إذا شبنا السيوف وهي تتحرك وسط الغبار في المعركة بليل تهاوى كواكبه . ويسمى التشبيه الذي يأتي بهذه الصورة بتشبيه التمثيل.

[64]بسيوني عبد الفتاح فيود ،مرجع سابق ، ص 58

وذلك نحو قول الشاعر:

وَ قَدْ لاَحَ فِي الصُّبْحِ الثُّرَيَّا كَمَا تَرَى كَعُنْقُودِ مُلاَحِيَّةٍ[65] نَوَّرَا[66]

فوجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من تجمع أجسام بيض مستديرة صغيرة الحجم في مرأى العين وإن كانت كبيرة في الواقع ، مجتمعة على كيفية مخصوصة ، ليست تامة الالتصاق ولا تامة الافتراق . فالوجه هنا مركب حسي وقد انتزع من طرفين مفردين وهما : نجم الثريا مقيداً بكونه قد لاح في الصباح ، وعنقود العنب مقيداً بكونه عنقود ملاحية في إخراج النور. والتقيّد لا ينافي الإفراد .

ومن طرفين مركبين كما في قول الشاعر :

وَ كأنَّ أجرامَ النّجومِ لوامعاً دُرَرٌ نُثِرْنَ على بساطٍ أزرقِ[67]

فوجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من تفرّق أجسام متلالئة صغيرة مستديرة الشكل على سطح جسم أزرق اللون صافي الزرقة ، مركب حسي وقد انتزع من طرفين مركبين حسيين .

ومن طرفين مختلفين في الإفراد والتركيب ، كتشبيه محمر الشقيق بأعلام الياقوت نشرن على رماح من زبرجد ، فوجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من اجتماع أشياء حمراء متحركة منصوبة على قائم أخضر ، مركب حسي وقد انتزع من طرفين مختلفين ، المشبه مفرد وهو محمر الشقيق ، والمشبه به من المركبات الخيالية وهو الهيئة المكونة من أعلام الياقوت التي نشرت على رماح من الزبرجد[68].

---

[65] كعُنْقُودِ مُلاَّحِيَّة: أي: كعنقود عنب من صنْفُ"ملاَحيّة" وهيعنبٌ أبيضطول، والأشْهَرُ في اسم "مُلاَحيّة" تخفيف اللّام.

[66] ذكره البغدادي في خزانة الأدب ،ج3،ص413 . ونسبه إلى أبي قيس بن الأسلَت . وذكره الجرجاني في أسرار البلاغة ص95، والقزويني في الإيضاح ص174

[67] تم توثيقه

[68] بسيوني عبد الفتاح فيود ،مرجع سابق، ص 59 ، 60

القسم الرابع :أن يكون وجه الشبه مركباً عقلياً :

مُ مّ لُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[69].

فقد شبّه حال أحبار اليهود الذين حُمّلوا التوراة وحفظوها في صدورهم ولم يعملوا بما فيها بحال الحمار الذي يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم ومستودع ثمر العقول ، وهو لا يعرف مضمونها ولا يحس بأهميتها وقيمتها العلمية ، ولا يفرّق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء .

فوجه الشبه هو وعدم الانتفاع من شيء يتعلق به غرض جليل وفائدة شريفة، مع الكد والتعب في استصحابه[70] .

ومن ذلك قول الشاعر:

صارِبْ عَ لَهضَ ضالِحسَ ُودِ فإضَّ رَكَ قَاتِلُه

فالنَّ تأكلُ بعضَها إن لَمْ تَجِدْ ما تأكُلُه[71]

فقد شبه الحاسد الذي يهمله المحسود بالإعراض عنه حتى يموت غيظاً ،بحال النار لا تُدّ بالحطب الذي يديم بقاءها فيأكل بعضها بعضاً حتى تصير رماداً .ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من سرعة الفناء لعدم الإمداد بما يسبب البقاء والحياة.

القسم الخامس:أن يكون وجه الشبه متعدداً[72] حسياً ، كتشبيه نهر دجلة بنهر النيل في طوله واتساعه وعذوبة مائه ، وكتشبيه فاكهة بأخرى في اللون والطعم والرائحة .

القسم السادسأن يكون وجه الشبه متعدداً عقلياً كتشبيه الصقر بالغراب في حِدة النظر وكمال الحذر وإخفاء السفاد .

---

[69] سورة الجمعة، الآية 5

[70] الجرجاني ، أسرار البلاغة، مرجع سابق ،ص 102

[71] البيت لابن المعتز في ديوانه ،مرجع سابق ، ص389 في الديوان (اصبر على حَسَدِ الحسود)

[72] وجه الشبه المتعدد : هو ما كان مكوناً من شيئين أو عدة أشياء كل واحد منهمستقل بنفسه ، صالح لأن يكون وجه شبه على حِدة كالسعة والامتداد والطول والعذوبة في تشبيه نهر بنهر .

القسم السابع :أن يكون وجه الشبه متعدداً مختلفاً ، بعضه حسي وبعضه عقلي ، كتشبيه الرجل بالشمس في إشراق الوجه ونباهة الشأن[73].

<u>ينقسم التشبيه باعتبار إفراد وجه الشبه أو تركيبه إلى :</u>

1- تشبيه تمثيل 2- تشبيه غير تمثيل

1- تشبيه التمثيل :

"التمثيل: مَا وجْهُهُ وصْفٌ مُنْتَزَعٌ من مُتعَدِّدٍ أمرين، أو أمور"[74].أي أن وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد (أمرين أو أكثر)، وهذا هو مذهب جمهور البلاغيين في تعريفه، ولا يشترطون فيه غير تركيب الصورة ، سواء أكانت العناصر التي تتألف منها صورته أو تركيبه حسية أو معنوية . وكلما كانت عناصر الصورة أو المركب أكثر كان التشبيه أبعد وأبلغ[75] .

ومن أمثلته من القرآن الكريم قوله تعالى: **(كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)[76].**

شبّه ما يعمله من لا يقرن الإيمان المعتبر بالأعمال التي يَحْسَبُها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ، ثم يَخيب في العاقبة أمله ، ويلقى خلاف ما قدَّر ، بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة ، فيحسبه ماء ، فيأتيه فلا يجد ما رجاه ، ويجد زبانية الله عنده ، فيأخذونه ويسوقونه لجهنم . ووجه الشبه هو المنظر المُطْمِع مع المَخْبَر المُؤيِس الذي هو على عكس ما قدر[77].

ونحو قوله تعالى: **(مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)[78].**

فالمشبه حال من ينفق قليلاً في سبيل الله ، ثم يلقى عليه جزاءاً جزيلاً ، والمشبه به حال من بذر حبة فأنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، ووجه الشبه هو صورة من يعمل قليلاً فيجني من ثمار عمله خيراً كثيراً [79].

---

[73]بسيوني عبد الفتاح فيود، مرجع سابق ، ص 70 ،71

[74]القزويني ، مرجع سابق، ص190

[75]عبد العزيز عتيق،مرجع سابق ، ص 86

[76]سورة النور ، الآية 39

[77]القزويني، مرجع سابق،ص 178

[78]سورة البقرة ، الآية 261

[79]عبد العزيز عتيق،مرجع سابق،ص 88

ومثاله من الشعر قول بشار[1]*:

كأنَّ أثارَ القَرْعِ فوقَ رؤُسِنا وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُه[80]

وجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من هوِيِّ أجرام مشرقة مستطيلة ، متناسبة المقدار، متفرِّقة في جوانب شيء مظلم[81].

وقول الشاعر يمدح فارساً :

وتَرَاهُ في ظُلَمِ الوَغَى، فتَخالُهُ قَمَرِياً كَوَّلَى الرِّجَالِ بِكَبِ[82]

فالمشبه هو صورة الممدوح الفارس وبيده سيف لامع يشق به ظلام غبار الحرب،والمشبه به صورة قمر يشق ظلمة الفضاء ويتصل به كوكب مضيئ ،ووجه الشبه هو الصورة المركبة من ظهور شيء مضيئ يلوح، بشيء متلألئ في وسط الظلام[83].

ومنه قول المتنبي[2]* في وصف أسد :

يَطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقاً مِنْ تِيهِهِ فكأنَّهُ آسٍ يَجُسُّ عَلِيلا[84]

شبه هيئة الأسد وهو يمشي على الثرى برفق من شدة زهوه بنفسه بهيئة الطبيب الذي يجُسُّ المريض برفق ، ووجه الشبه صورة شيء يمس شيئاً آخر في رفق وتؤدة.

بشارُ بن بُرْد : (95-167هـ =714-784م) هو بشار بن بُرْد العُقيلي ، أبو معاذ أشعر المولدين على الإطلاق ، أصله من طخارستان . كان ضريراً ، نشأ في البصرة وقدم بغداد، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية ، له شعر كثير متفرق ، من الطبقة الأولى ، جمع بعضه في ديوان . أتهم بالزندقة فمات ضرباً بالسياط ودفن في البصرة . الأعلام 2 /52 .

[80]بشار بن برد، ديوان،جمع وتحقيق وشرح :محمد الطاهر بن عاشور،الجزائر،طبعة لجنة التأليف والنشر، 1386هـ-1966،ج1،ص335.

[81]القزويني، مرجع سابق ،ص 174

[82]البيت للبحتري في ديوانه ، مرجع سابق،ج1،ص176

[83]عبد العزيز عتيق ،مرجع سابق،ص 86

[2]*أبو الطيب المتنبي (303 -354 هـ = 915-965م): هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي ، الكندي ، أبو الطيب المتنبي ، الشاعر الحكيم ، وأحد مفاخر الأدب العربي ، له الأمثال السائرة والحكم المبالغة والمعاني المبتكرة ، ولد بالكوفة ، ونشأ بالشام. ثم تنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس . قال الشعر صبياً ،سمي المتنبي لأنه تنبأ في بادية السماوة (بين الكوفة والشام) وتبعه كثيرون ، وسجنه أمير حمص حتى تاب ورجع عن دعواه . له ديوان شعر مطبوع .الأعلام 115/1.

[84]المتنبي ، ديوان ، بيروت -لبنان، دار بيروت للطباعة والنشر ، د.ط ، 1403هـ-1983م،ص146.

وقول ابن الرومي*:

أَذْسَ لاَ أَذْسَ خَابَّازًا مَرِيَ وَحْتُوُ الرِّقَاقَةَ وَشْكَ اللَّمْحِ بِالْبَصَرِ
مَا بَيْنَ رُؤْيَتِهَا فِي كَفِّهِ رِكَةً وَبَيْنَ هَؤْيِتْرِ اءَ الْقَمَرِ
دَارِالِاَّمِمَاقَتْذَاحُ دَرَائِفَتِيٌّ لُجَّةِ الْمَاءِ يَرْمِي فِيهِ بِالْحَجَرِ [85]

شبّه حال عجينة الرقاقة في يد الخباز تكون في أول أمرها كرة صغيرة ، ثم تنبسط وتستدير بسرعة بحال دائرة الماء من إلقاء حجر فيه ، تكون في أول أمرها صغيرة ثم تتداح سريعاً ، ووجه الشبه صورة شيءيبدو في أول أمره صغيراً مستديراً ثم يأخذ في الاتساع والانبساطشيئاً فشيئاً [86].

2- تشبيه غير التمثيل :

هو ما لم يكن وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد ، بل يكون وجه الشبه فيه أمراً واحداً ، وربما يكون أكثر من شيء واحد . فمثال الأول قول امرئ القيس[87] :

كَمَوْجِ الْبَحْرِالْيَرْلِ أَرْخَى سُدُولَهُ[88] عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الْهُمُومِ لِيَبْتَلِي [89]

فوجه الشبه هنا واحد (الشدة أوالصعوبة) .

ومثال الثاني قول الشاعر :

أَذْتَ نجْمٌ فِي رِفْعَةٍ وضِتِجَاءْتَلِيكَ الْعُيُونُ شَرْقاً وغَرْبا[90]

فوجه الشبه هنا شيئان (الرفعة والضياء) ، إلا أنه يمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر أو تقديم أحدهما على الآخر ، وهذا ممتنع في تشبيه التمثيل[91].

---

*ابن الرومي :(221 – 283هـ = 836 – 896م) :هو علي بن العباس بن جريج ، أو جورجيس ، الرومي ، أبو الحسن ، شاعر كبير من طبقة بشار والمتنبي، رومي الأصل ،كان جده من موالي بني العباس ، ولد ونشأ ببغداد ، ومات فيها مسموماً ، قال المرزباني : لا أعلم أنه مدح أحداً من رئيس أو مرؤوس ، إلا وعاد إليه فهجاه ولذلك قلت فائدته من قول الشعر وتحاماه الرؤساء وكان سبباً لوفاته ،له ديوان شعر مطبوع.الأعلام 297/4

[85]ابن الرومي ، ديوانشرح أحمد حسن بَسَج، بيروت-لبنان ، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، ط3 ، 1423هـ-2002م ،ج2، ص146.

[86]فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع)،الأردن ،دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ط10، 2005م ، ص 68

[87]تمت ترجمته

[88]السدول : الستور ، الواحد منها سدل ، الإرخاء . إرسال السدل وغيره ، الابتلاء:الاختبار

[89]ديوان امرئ القيس ،مرجع سابق، ص117

[90]استشهد به فضل حسن عباس في كتابه(البلاغة فنونها وأفنانها) ولم يذكر له نسبة .

[91]فضل حسن عباس ، مرجع سابق، ص69 ،70

ومن خلال هذه الأمثلة يتضح أن تشبيه غير التمثيل هو ماكان وجه الشبه فيه غير صورة أي غير مركب . وبعبارة أخرى : هو ما كان مفرداً مهما تعددت الصفات التي يشترك فيها الطرفان ، وإن هذه الصفات المشتركة إن وُجِدَتْ لا يشترط فيها نظام أو ترتيب معين ، أي يجوز فيها التقديم والتأخير، كما يجوز الإبقاء عليها أو على بعضها كوجه شبه من غير إخلال بالتشبيه[92].

<u>ينقسم التشبيه باعتبار حذف وجه الشبه أو ذكره إلى قسمين :</u>

تشبيه مُجْمَل، وتشبيه مُفَصَّل .

1التشبيه المُجْمَل :

هو ما حُذِف فيه وجه الشبه ، كقولنا هذا الرجل كالأسد ، والعلماء كالنجوم .ووجه الشبه المحذوف قد يكون واضحاً ظاهراً يعرفه الخاصة والعامة على حد سواء ، كقولنا : وجه كالبدر، وشعر كالليل ، وخد كالورد . وقد يكون دقيقاً خفياً يحتاج في إدراكه إلى فكر وتأمل ، وعندئذ يجب أن يذكر في العبارة ما يومئ إلى وجه الشبه المحذوف ويدل عليه .

والذي يومئ إلى وجه الشبه المحذوف ويدل عليه إذا لم يكن ظاهراً شيئان :

أ/ إما وصف المشبه به بصفة يفهم منها هذا الوجه المحذوف[93].

وذلك نحو قول النابغة*:

فإنَّكَ شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعَتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ [94]

شبّه الممدوح بالشمس، والملوك بالكواكب. وجملة (إذا طلعت لم يبد منهن كوكب) وقعت وصفاً للمشبه بهما ، فأنبأت عن وجه الشبه المحذوف ودلّت عليه ، وهو: القوة الكبرى التي تستر ما عداها . فالشاعر يريد أن عزة الممدوح وسلطانه وفضائله تخفي ما لسائر الملوك من قوة وعزة ومكارم كما تخفي الشمس إذا طلعت أضواء الكواكب .

---

[92]عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص 89

[93]بسيوني عبد الفتاح فيود ،مرجع سابق ، ص83

*النابغة الذُبياني (...-نحو 18ق هـ=...- نحو 604م) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة .شاعر جاهلي ، من الطبقة الأولى . من أهل الحجاز ،كانت تضرب له قبة حمراء بسوق عكاظ ، فتقصده الشعراء فتعرض أشعارها .كان أحسن الشعراء العرب ديباجة لا تكلّف في شعره ولا حشو .وعاش عمراً طويلاً . له ديوان شعر مطبوع . الأعلام 3/54،55

[94]النابغة الذبياني ، ديوان تحقيق وشرح :كرم البُستاني، بيروت ، دار صادر للطباعة والنشر،1383هـ-1963م ،ص18.

ب/وإما أن يكون الدال على وجه الشبه المحذوف وصفاً للمشبه والمشبه به كليهما كما في قول الشاعر :

عَنْهُ وَصَمَ دْتَفَضْتُ دَفْ مَوَاهِبُهُ[96] عَلَوَذَّدِيهِوُظَغَّيِفَلَمْ يَخِب

كَالْغَيْثِ إِنْ جِئْتَهُالْوَافِيوَإِنْ تَرَحَّلْتَ عَنْهُ لَجِقَيِالطَّلَبِ[99]

شبّه الممدوح بالغيث ، ووجه الشبه هو الإفاضة والإحسان في حال الإقبال وفي حال الإعراض ، وقد أنبأ بهذا الوجه ودلّ عليه وصف المشبه بأن عطاياه لا تنقطع في حال الغيبة وحال الحضور ، ووصف المشبه به وهو الغيث بأن يوافيك بمائه الصافي إن طلبته . وإن ترحلت عنه اجتهد في إمدادك به . ولو لم يوصف الطرفان بهذين الوصفين لتبادر إلى ذهن العامة أن المقصود مجرد تشبيه الممدوح بالغيث في كثرة العطاء[100].

2/التشبيه المُفَصَّل :

هو ما ذُكِر فيه وجه الشبه ، أو ذكر فيه مكان الوجه أمراً يستلزمه .

فالأول : نحو قول الشاعر :

كَالشَّمْسِ فِي الْبُعْدِ وَالْقُرْبِ حِسًّا	وَالْفَضْلِ وَالْمَنَالَا
وَالْبَدْرِ فِي الْحُسْنِ وَالضِّيَاءِ وَصُعْ	وبَةِ الْمَنَالِ
وَالْغُصْنِ فِي اللِّينِ وَالِاعْتِدَالِ	وَالْوَرْدِ فِي اللَّوْنِ
أَنْتَ مِثْلُ الْوَرْدِ لَوْنًا	وَنَسِيمًا وَبِلَالَا[101]
زَارَنَا حَتَّى إِذَا مَا	سَرَّنَا بِالْقُبِّ زَالَا[102]

[شبه الممدوح بالبدر في الحسن والضياء وصعوبة المنال ، وبالغصن في اللين والاعتدال، وبالورد في اللون والرائحة والبلال] .

---

[95] صدفت : أعرضت

[96] المواهب : الهبات

[97] رَيْعَانُهُ : أوله وأفضله

[98] لجأيْنَ إلى (مه وأبَى الانْصِرافَ عَنْه)

[99] البيت لأبي تمام في ديوانه ، مرجع سابق، ج1، ص69 . وورد في الديوان بصيغة مختلفة في بعض كلماته .

[100] بسيوني عبد الفتاح فيود ،مرجع سابق،ص84.

[101] البلال : الندوة ويُروى :ملالا بمعنى سرعة الزوال والمفارقة من إطلاق الملزوم وإرادة اللازم .

[102] ذكره الثعالبي في يتيمة الدَّهر ،ج2، ص226. والقزويني في الإيضاح ص192. والبيت منسوب لأبي بكر الخالدي (محمد بن هاشم).

والثاني نحو أن يقال : (كلام كالعسل في الحلاوة) . فليست الحلاوة هي وجه الشبه الحقيقي . ولكن الوجه الحقيقي هو : ميل النفس وشعورها باللذة ، وهو لازم من لوازم الوصف المذكور " الحلاوة " فاستغنى بذكر الملزوم عن اللازم مجازاً [103].

وينقسم وجه الشبه كذلك إلى قريب مبتذل وبعيد غريب :

أ/ **القريب المبتذل** :

هو ما يُنتقَل فيه من المشبه إلى المشبه به من غير تدقيق نظر ؛ لظهور وجهه بدايةً ، (فوجه الشبه فيه واضح لا يحتاج إلى فكر وتأمل) وسبب ظهوره أمران :

1- أن يكون الشبه أمراً جملياً؛ فإن الجملة أسبق أبداً إلى النفس من التفصيل؛ فالأشياء تُرى دائماً جملةً ثم تظهر تفاصيلها تدريجياً ، ولذلك قيل: "النظرة الأولى حمقاء، لأنها عامة وعابرة ، ليس فيها تدقيق نظر يتم من خلاله إدراك تفاصيل الأشياءوكذا سائر الحواس؛ فإنه يُدرك من تفاصيل الصوت والذوق في المرة الثانية ما لم يدرك في المرة الأولى، وكذلك حكم ما يدرك بالعقل؛ فترى الجُمل أبداً تسبق إلى الذهن، وتكون التفاصيل مغمورة فيها، لا تحضر إلا بعد إعمال الروية وتدقيق الفكر.

2- كون وجه الشبه قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به في الذهن؛ أي أنه سريع الخُطُور في الأذهانعادةً ، إما عند حضور المشبه؛ لقرب المناسبة بينهما، كتشبيه العنبة الكبيرة السوداء بالإجّاصة في الشكل والمقدار، والجرة الصغيرة بالكوز كذلك. أو لتكرر المشبه به على الحس، لأنه من الأشياء الّتي تَتَكَرَّرُ مُشَاهَدَتُها، فهي ممّا يُسارع الذهن إلى التشبيه بها، كتشبيه الشمس بالمرآة المجلوة في الاستدارة والاستنارة؛ فإن قرب المناسبة والتكرُّر كل واحد منهما يعارض التفصيل؛ لاقتضائه سرعة الانتقال[104].

ب/ التشبيه البعيد الغريب:

والبعيد الغريب؛ وهو ما لا يُنتقل فيه من المشبه إلى المشبه به إلا بعد تدقيقالنظر وإمعان الفكر؛ لخفاء وجهه في بادئ الرأي[105].

ومن أسباب بعُد التشبيه وغرائبه :

1- أن يكون وجه التشبيه أموراً كثيرة [أي كثير التفصيل] كما في تشبيه سقط النار بعين الديك، أو كتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور[106].

---

[103] بسيوني عبد الفتاح فيود ،مرجع سابق ، ص85

[104] القزويني، مرجع سابق، ص193

[105] القزويني ،مرجع سابق، ص193

[106] السكاكي ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (ت 626) ، مفتاح العلوم ،ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور ، بيروت-لبنان ،دار الكتب العلمية، ط2، 1987م -1407هـ ، ص 351.

والمراد بالتفصيل في وجه الشبه ؛ إطالة النظر والتأمل في صفات كل من الطرفين لمعرفة الأشياء التي توقع بينهما المشاركة أو المخالفة ، ثم التأمل في الصفات المشتركة بينهما هل هي موجودة في الطرفين بدرجة واحدة أم بينهما تفاوت ؟ وهل هذا التفاوت يفسد الغرض من التشبيه؟ إن كان يفسده فعلى الأديب أن يجمع ويفرّق ويثبت ويحذف في صفات كل طرف حتى يستقيم التشبيه ، ويحقق الغرض الذي يرمي إليه، فالمراد بالتفصيل إذاً ألا ننظر في صفات الطرفين نظرة إجمالية، بل نظرة تفصيلية دقيقة[107].

ومن التشبيه الغريب الكثير التفصيل قول بشار:

كأنمّا أذُنَ القَعْقاعِ قَرْؤُسُنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُه[108]

فالشاعر يشبه لمعان السيوف في الغُبار بالكواكب في الليل ، ولم يكتف بذلك، بل نظر في التشبيه إلى أكثر من جهة واحدة ، وزاد في تفصيله ؛ بتصويره هيئة السيوف في حركاتها ، وأن لها في احتدام الحرب ، واختلاف الأيدي بها في الضرب اضطراباً شديداً ، وحركاتٍ مسرعة . ثم أن لتلك الحركات جهاتٍ مختلفة وأحوالاً تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة والارتفاع والانخفاض . وأن السيوف باختلاف هذه الأمور تتلاقى وتتداخل ، ويقع بعضها في بعض . ثم أن أشكال السيوف مستطيلة . قد نظم الشاعر هذه الدقائق كلها في نفسه ، وعبَّر عنها بلفظة واحدة وهي قوله (تهاوى) ؛ لأن الكواكب إذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها ، وكان لها في تهاويها تواقع وتداخل ، ثم أنها بالتهاوي تستطيل أشكالها . وبهذا أكتمل وجه الشبه[109].

إذاً قد استطاع الشاعر من كلمة (تهاوى) أن يزيد في تفصيل هذا التشبيه بشيء من الدقة، وأن يفسح مجالاً لتداعي الأفكار والخيال في تصوُّر الشبه بين الطرفين.

2- أو أن يكون المشبه به بعيد التشبيه عن المشبه ، كبعد البنفسج عن النار والكبريت قبل تصور التشبيه بين الطرفين[110].

كما في قول ابن الرومي[111] يصف زهر البنفسج :

وَلَازَرْدَةٌ زُرْقٌ وبُقْعٌ بَيَاضُهَا عَلَى خُضْرَةٍ كَالنَّارِ أَطْفِيَ كَالْبَرِيتِ

كَأَنَّهُ وَاقِدَاتٍ عُفْنَ بِهَا أَوَائِلُ النَّارِ أَطْفِيَ كَالْبَرِيتِ [112]

---

[107] بسيوني عبد الفتاح فيود ،مرجع سابق،ص 89

[108] تم توثيقه

[109] الجرجاني، أسرار البلاغة، مرجع سابق، ص 175، 176

[110] السكاكي، مرجع سابق ، ص 352

[111] تمت ترجمته

[112] ابن الرومي، مرجع سابق، ج1 ،ص276 . والبيت بصيغة محتلفة في الديوان.

فقد شبَّه زهر البنفسج بأوائل النار في أطراف كبريت ، ولا توجد مناسبة بين الطرفين، فالمشبه زهر ندي يفوح عطراً ، والمشبه به نار يابسة محرقة ، فهما جنسان متباعدان . وقد جمع بينهما الشاعر على الرغم من هذا التنافر الكبير بينهما ، فاكتسب التشبيه غرابة وبعداً [113].

3-أو أن يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن لكونه شيئاً وهمياً . كما في قول الشاعر .

أَيَقتُلُني وَالمَشرَفِيُّ مُضاجِعي وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أَغوالِ [114]

4-أو مركباً خيالياً . كما في قول الشاعر .

وكأنَّ مُحْمرَّ الشَّقيقِ إذا تصَوَّبَ أو تَصَعَّدْ [115]

أَعلامُ ياقوتٍ نُشِرْنَ على رِماحٍ من زَبَرْجَدْ

5-أو مركباً عقلياً كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[116].

وكل ماكان التركيب خيالياً كان أو عقلياً ، من أمور أكثر ، كان حاله في البعد والغرابة أقوى[117].

6-أو لقلة تكرره على الحس، كتشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل ، فإنه ربما يقضي الرجل عمره كله ، ولا يرى منظر المرآة في يد الأشل[118].

قال القزويني منوهاً بشأن التشبيه البعيد ومعدداً لفضائله : " والبليغ من التشبيه ما كان من هذا النوع ، أعني البعيد ؛ لغرابته ، ولأن الشيء إذا نِيلَ بعد الطلب له والاشتياق إليه كان نَيْلُه أحلى ، وموقعه من النفس ألطف ، وبالمسرة أولى ، ولهذا ضُرِبَ المثل بكلطُفَيْلَ موقعه ببرْد الماء على الظمأ "[119].

تحوُّل القريب إلى بعيد:

وقد يتصرف في القريب المبتذل بما يخرجه من الابتذال إلى الغرابة، فيصبح بديعاً نادراً وغريباً ، لا ترتقي إليه أفكار العامة ، كأن يشترط في تمام التشبيه وجود وصف لم يكن، وانتفاء وصف قد كان ، ولو ادعاء ، ويسمى التشبيه المشروط ، وذلك على ضروب منها :

---

[113] بسيوني عبد الفتاح فيود ،مرجع سابق ، ص 89

[114] تم توثيقه

[115] تم توثيقه

[116] سورة يونس ، الآية 24

[117] السكاكي ، مرجع سابق ، ص 352

[118] القزويني، مرجع سابق، ص194

[119] نفس المرجع السابق ،ص198

1/ أن يكون كقول المتنبي :

لَم تَلْقَ هَذَا الْوَجْهَ شَمْسُ نَهَارِنَا إِلا بِوَجْهٍ لَفِيهِ حَيَاءِ [120]

فتشبيه الحسناء بالشمس مطروق مبتذل، يستوي فيه الخاصة والعامة. لكن حديث الحياء، وما فيه من الدقة والخفاء، أخرجه من الابتذال إلى الغرابة[121].

ومن ذلك قول أبي نواس* :

إِنَّ الشَّرَابَ لَتَحْرِيمٌ إِذَا ذُكِرَتْ فَقَدْ نَهَتْ عَنْهُ مِنَّا فِيهَا [122]

حَتَّى تَهَمَّ بِإِلْقَاعٍ فَنَعْرِفُهَا خَوْفٌ مِنَ السُّخْطِ مِنْ إِجْلَالِهِ شُبِّهَا

2/ ومنها أن يكون كقول الشاعر :

عَزَمَاتُهُنَّ [123] النجومِ ثواقِبًا [124] لو لم يكُنْ للثاقباتِ أُفُولُ [125]

فقد شرط لتمام المماثلة بين النجوم وبينه عدم مغيبها[126].

ونظيره قول الشاعر:

يَكَادُ يَحْكِيكَ صَوْبُ الْغَمَامِ وَشْكًا إِذَا طَلَقَ الْمُحَيَّا يُمْطِرُ الذَّهَبَا [127]

[إضافة الشرط لهذا التشبيه رفع منزلته وجعله بديعاً غريباً].

---

[120] البيت للمتنبي في ديوانه ، مرجع سابق، ص129 .

[121] أحمد مصطفى المراغي، مرجع سابق ،ص231 .

* أبو نُواس : (146 – 198هـ = 763 – 814م) هو الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء . شاعر العراق في عصره ، ولد بالأهواز من بلاد خوزستان ونشأ بالبصرة ، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس ومدح بعضهم ، وخرج إلى دمشق ثم إلى مصر ، ثم عاد إلى بغداد فأقام إلى أن توفي فيها . أجود شعره خمرياته . له ديوان شعر مطبوع. الأعلام 2 /225.

[122] أبو نواس ديوان، ديوان، شرحه وضبطه وقدم له :علي فاعور ، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية ، ط1، 1407هـ-1987م ، ص584.وعجز البيت الثاني في الديوان (خوف العقوبة في عصيان منشيها) .

[123] العزمات : جمع عزمة، وهي المرة من العزم

[124] الثواقب : اللوامع

[125] أورده النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب ،ج7، ص38 . والقزويني في الإيضاح ص199 .والبيت منسوب لرشيد الدين الوطواط

[126] أحمد مصطفى المراغي، مرجع سابق ،ص232 .

[127] البيت لبديع الزمان الهمذاني في ديوانه دراسة وتحقيق : يُسْرى عَبد الغَني عبد الله ، بيروت –لبنان، دار الكتب العلمية ، ط1،1407هـ-1987م.

3/ أو كقول الشاعر :

لأَيَاضِ الحزَنْ مِن أبرْقِالحِمَى[128] سَيمِكُ مسروقووَصَفْكُمِنْتَحَلَ

حكيتْ البعَدِ فَشَوْكُ نَشْرُهُ[129] ولكِنْلَه صدقُالهوَى ولكالمَلَ[130]

[إن ادعاء كون نشر الرياض مسروقاً من نشر الممدوح، والاستدراك المذكور بعده، أخرجه إلى الغرابة والتفصيل].

4/ وقد يُخرج من الابتذال بالجمع بين عدة تشبيهات،فيزداد بذلك لطفاً وغرابة[131]. كقول الشاعر:

كَأَنَّمَا يَبْسِمُ عَنْ لُؤْلُؤٍ مُنَضَّدٍ أَوْ بَرَدٍ أَوْ أَقَاحْ[132]

[تشبيه ثغر المحبوبة باللؤلؤ مطروق مبتذل ، لكن إضافة وصفين آخرين للثغر وهما الْبَرَدُ ، والأقاح ، زاده حسناً وأخرجه من الابتذال].

أو كقول امريء القيس يصف فرسه:

لَهُ أَيْطَلا ظَبْيٍ[133] وَسَاقَا نَعَامَةٍ[134] وَإِرْخَاءُ سَرْحَانٍ[135] وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ[136]

[الشاعر هنا أتى بأربعة أشياء مشبهة بأربعة أشياء ، فقد شبه خاصرتي الفرس يخاصرتي الظبي في الضمور ، وساقيه بساقي النعامة في الانتصاب والطول ، وعدوه بإرخاء الذئب، وتقريب التتفل . وهذه الأوصاف كلها من أوصاف الفرس الأصيل . وقد أخرجت هذه التشبيهات المتعددة التشبيه من الابتذال ،فاكتسىلطفاً وغرابة] .

أدوات التشبيه :

---

[128] الحَزْن:الأرض السمكية أبرْقالحِمَى:مكان

[129] النَّشْر: الرائحة الطيبة

[130] أورده محمد بن علي بن محمد الجرجاني في كتابه:الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق:عبد القادر حسين، مصر ، مكتبة الأداب،(د.ط) 1418هـ-1997م،ص179.والجرجاني في أسرار البلاغة ص277 والقزويني في الإيضاح ص200 .والبيت منسوب لابن بابك

[131] أحمد مصطفى المراغي، مرجع سابق ، ص231 ،232

[132] تم توثيقه

[133] له أَيْطَلا ظَبْيٍ: أي: خاصِرَتا ظَبْيٍ فهو مُضَمَّر.

[134] وساقا نعامة: أي: في الانتصاب والطول بالنسبة إلى الجسد.

[135] وإرخاء سَرْحان : أي: وعدوه كعَدْو الذئب، والإرْخاء ضرب من عدو الذئب.

[136] وتَقْريب تَتْفل: التَّتْفُل: ولد الثعلب، والتقريب وضع الرجلين موضع اليدين في العدو.والبيت لامرئ القيس في ديوانه ، ص119

هي ما يربط بين المشبه والمشبه به . وقد تكون حرفاً أو اسماً أو فعلاً :

أ/ **حرفاً** : نحو (الكاف) : ويليها المشبه به دائماً و. للظن يقوله تعالى:(أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ..)[1].

وقد لا يليها المشبه به صراحة ، وذلك إذا كان التشبيه مركباً . نحو قوله تعالى:(وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا)[2] .

ففي الآية دخلت الكاف على (الماء) ولا يعقل أن تُشبه الحياة الدنيا بالماء وإنما المقصود تشبيه الدنيا بنضارتها ، واغترار الناس بها ثم ما يعقب ذلك من ألم وتفرّق ، وتنغيص وكدر وزوال ، بالنبات ينزل عليه الماء فيكسبه خضرة وزهواً ، ولكنه بعد ذلك يصفرُّ فيكون هشيماً حطاماً . فالكاف هنا لم تدخل على المشبه به صراحة وإنما احتاج ذلك إلى تأويل[3].

و(كأن) : والأصل فيها أن يليها المشبه.

ويرى البعض أن (كأنَّ) مركبة من كلمتين : (الكاف) و (إنَّ) الدالة على التأكيد . وهي أدلّ على تأكيد الكلام من الكاف ، ولهذا جاءت في القرآن الكريم في المواطن التي يستحسن فيها توكيد الكلام وتثبيته في النفوس ، كنحو قوله تعالى:(خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ)[4] ونحو قوله تعالى:(عَلَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)[5].

وذهب بعضهم إلى أنها لا تكون للتشبيه إلا إذا كان خبرها جامداً ، أما إذا كان خبرها مشتقاً فإنها تفيدُ الظنَّ والشك . فإذا قلت (كأنّ خالداً قائم) فإنها تفيد الظن ، لأن (قائم) وهي خبر كأنَّ ، اسم فاعل ، واسم الفاعل من المشتقات . ولكن جمهور العلماء على أنها للتشبيه في جميع أحوالها ، فمعنى (كأن خالداً قائم) ؛ أي أن حالته التي هو عليها الآن تشبه حالته وهو قائم[6].

ب/ وقد تكون أداة التشبيه اسماً : نحو (شبيه) في قوله :

بِيضٌ كَأَنَّ حُسْنَا ... وَمَنَالاَ شَبِيهَ

---

[1] سورة النور ، الآية (39)

[2] سورة الكهف، الآية (45)

[3] فضل حسن عباس ، مرجع سابق ، ص 27 ،28

[4] سورة القمر ، الآية (7)

[5] سورة الحاقة ، الآية (7)

[6] فضل حسن عباس ، مرجع سابق ، ص 28 ،29

الغُصْنِ ينا ً واماً واعتِدالا[1]

ج/ وقد تكون أداة التشبيه فعلاً : نحو (يحكي ، ويشبه) .

كقول الشاعر في وصف شمعة[2] :

مفتولةٌ مجْدولةٌ تحكي لنا قدَّ الأسَل[3]

وقد يُغني عن أداة التشبيه (فعلٌ) يدلُّ عليه ، ولا يعتبر أداة . فإن كان الفعل لليقين، أفاد التحقيق، نحو: (فَلَمَّا رَأَوْهُ مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ)[4]. وإن كان الفعل للشك ، أفاد بُعْدَها ، نحو: (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا)[5] ، ونحو:(حسبت الفيل جبلاً)[6].

وهناك ألفاظ أخرى تدل على معنى المُشابهة ، نحو : مِثل ، وشِبه ، وغيرها، مما يؤدي معنى التشبيه (كالمُضاهاة والمحكاة والمُشابهة والمُماثلة ، ونحو). وكذا ما يُشتقَّ من لفظي (ماثل وشابه) أوما يُرادفهما في المعنى[7] .

وينقسم التشبيه باعتبار أداته إلى :

أ/ التشبيه المؤكد ، وهو ما حُذفت فيه الأداة ، كقول الشاعر :

أَنْتَ نجْمٌ في رِفْعةٍ وضِياء تجْتَليكَ الْعُيُونُ شَرْقاً وغَرْبا[8]

ب/التشبيه المرسل : هو ما ذكرت فيه الأداة ، كقول الإمام علي - كرم الله وجهه -

إنّما الدُّنيا كَبَيْتٍ نَسَجَهُ مِنْ عَنْكَبُوتْ [9]

ج/ التشبيه البليغ[10] :هو ما حذفت فيه أداة التشبيه ووجه الشبه[11]. وذلك نحو قوله تعالى :(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ)[1].

---

[1] تم توثيقه

[2] فضل حسن عباس ، مرجع سابق ، ص 29

[3] البيت للرَّضي في ديوانه ،تقديم وشرح:كرم البستاني، مراجعة: ناهد جعفر، بيروت ، دار صادر،ط1، 1996م، ص 384

[4] سورة الأحقاف ، الآية (24)

[5] سورة الإنسان ، الآية (19)

[6] أحمد الهاشمي،مرجع سابق، ص 236

[7] نفس المرجع السابق ونفس الصفحة ،

[8] تم توثيقه

[9] البيت لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في ديوانه ،اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، بيروت لبنان، دار المعرفة ،ط3، 1426هـ-2005م ص50. وفيه حجز فيه (نَسَجَتْه العنكبوت).

[10] سمي التشبيه البليغ بليغاً لما فيه من مبالغة في اعتبار المشبه عين المشبه به.

[11] أحمد الهاشمي ، مرجع سابق ، ص 237

ومن التشبيه البليغ ، المصدر المضاف المبين للنوع، نحو:(راغ روغان الثعلب) ومنه أيضاً إضافة المشبه به للمشبه ، نحو : (لبس فلان ثوب العافية)[2].

التشبيه المقلوب:

هو أن يُجعل المشبه به مشبهاً والمشبه مشبهاً به ، ويسمى "الطرد والعكس" ، وبعض البلاغيين يسميه " غلبة الفُروع على الأصول" ، ولا تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض به المبالغة[3].

لأنه يقوم على ادعاء أن وجه الشبه في المشبه أقوى وأظهر من المشبه به .

ومن ذلك قول الشاعر :

وَرَمل كأَعْفَاذِ الفَتَارى قَطَائِفُهُ جَلَتْهُ المُظلِمَاتُ الحَنَادِسُ [4]

فالشاعر جعل الأصل فرعاً والفرع أصلاً ، وذلك لأن العادة أن تُشبَّه أعجاز النساء بكُثبان الرمال ، إلا أن الشاعر عكس التشبيه ، فشبّه كُثبان الرمال بأعجاز النساء ، وإنما فعل ذلك مبالغةً قد ثبَّت هذا المعنى لأعجاز النساء ، وصار كأنه الأصل ، حتى شُبِّهت به كُثبان الأَنْقاء أو الرمال[5] .

ومنه أيضاً قول الشاعر:

وبَرْدَتَاهُ الصُّبْحُ فِي جَبْهَةِ الخَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدَحُ [6]

حيث شبه ضوء الصباح في أول تباشيره ، بوجه الخليفة عند سماعه المديح. فالتشبيه مقلوب ، والأصل فيه العكس ، لأن المألوف أن يشبه الشيء دائماً بما هو أقوى وأوضح منه في وجه الشبه ، ليكتسب منه قوة ووضوحاً ، ولكن الشاعر تفنناً منه في التعبير، عكس القضية وقلب التشبيه للمبالغة والإغراق بادعاء أن الشبه أقوى في المشبه[7].

ومنه قول البحتري[8]

كأن سَنَاها بالعَشِيِّ لصبْحُها تبَسُّمُ عيسى حين يلفظُ بالوعْدِ [9]

---

[1] سورة الحجرات ، الآية رقم (10).

[2] أحمد الهاشمي ،مرجع سابق ، ص 237

[3] ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، مرجع سابق،ج2 ، ص156

[4] البيت لذي الرمة في ديوانه، شرحه وضبط نصوصه وقدّم له :عمر فاروق الطبَّاع ، بيروت - لبنان ،شركة الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر ، ط1 ،1419هـ – 1989م ، ص256 .

[5] ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، مرجع سابق ،ج2 ، ص156 ، 157

[6] أورده الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر في كتابه: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز (في علوم البلاغة وبيان إعجاز القرآن الكريم)، القاهرة، مطبعة الآداب، (د.ط)، 1317هـ،ص76 .والجرجاني في أسرار البلاغة ص223 ، والقزويني في الإيضاح ص183 . محمد بن علي بن محمد الجرجاني في الإشارات والتنبيهات،ص171والبيت منسوب لمحمد بن وهيب (الحمير ي)

[7] عبد العزيز عتيق، مرجع سابق ، ص98

[8] تمت ترجمته

[9] ديوان البحتري ،مرجع سابق، ج1 ،ص307والبيت في الديوان (كأن سناها بالعشي لشَرْبِها ...تَبلُّج عيسى ..)

شبه البحتري برق السحابة الذي ظلَّ لماعاً طوال الليل بتبسم الممدوح حينَ يَجِدُ بالعطاء، ولا شك أن لمعان البرق أقوى من بريق الابتسام ، فكان المألوف أن يشبه الابتسام بالبرق على عادة الشعراء ، ولكنه قلب التشبيه تفنناً في التعبير والتماساً للمبالغة بادعاء أن وجه الشبه أقوى في المشبه .

والشرط في استعمال التشبيه المقلوب ألا يرد إلا فيما هو عليه العُرف والإلف لدى العرب، وذلك حتى تظهر فيه بوضوح صورة القلب والانعكاس .أما إذا ورد في غير المعهود المألوف فإنه يكون معيباً ؛لأن المبالغة فيه تؤدي إلى الغموض ، وتؤدي أيضاً إلى التداخل بين طرفيه ، فلا يُعرف أيهما المشبه ، وأيهما المشبه به[1].

التشبيه الضمني:

هو التشبيه الذي يُفهم من المعنى ويتضمنه سياق الكلام ، والفرق بينه وبين التشبيه الصريح أن التشبيه الصريح يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة ، أما التشبيه الضمني فيُلمَح فيه الطرفان من المعنى ، ولا تُبنى جملته على إحدى صور التشبيه المعروفة[2] .

ومثال التشبيه الضمني قول أبي فراس الحمداني*:

سَيَذْكُرُني قَوْمي إذا جَدَّ جِدُّهُمْ وَفي اللَّيْلَةِ الظَّلْماءِ ، يُفْتَقَدُ البَدْرُ [3]

فالشاعر يريد أن يقول : إن قومه سيذكرونه عند اشتداد الخطوب والأهوال عليهم ويطلبونه فلا يجدونه ولا عجب في ذلك لأن البدر يُفتقد ويُطلب عند اشتداد الظلام.فهذا الكلام تضمن تشبيهاً غير مصرح به ، فالشاعر يشبه ضمناً حاله وقد ذكره قومه وطلبوه فلم يجدوه عندما ألمت بهم الخطوب ، بحال البدر يُطلب عند اشتداد الظلام. فهو لم يصرح بهذا التشبيه ، وإنما أورده في جملة مستقلة وضمنته هذا المعنى في صورة برهان[4].

ونحو قول الشاعر :

لاَ تُذْكِرِي عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَى فَالسَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي[5]

---

[1] عبد العزيز عتيق، مرجع سابق ، ص 98 ، 101

[2] بسيوني عبد الفتاح فيود ،مرجع سابق ، ص 133

*أبو فراس الحمداني : (320-357هـ = 932 – 968م) : هو الحارس بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعي ، أبو فراس . أمير ، شاعر ، فارس ، ابن عم سيف الدولة له وقائع كثيرة قاتل بها بين يدي سيف الدولة ، وكان سيف الدولة يحبه ويقربه إليه ، وقلده منبجاً وحران ، وتنقل في بلاد الشام ، قتل في تدمر ، له ديوان شعر مطبوع . الأعلام 155/2

[3] أبو فراس الحمداني ، ديوان ، شرح الدكتور خليل الدويهي ، بيروت ،دار الكتاب العربي ، ط2، 1414هـ -1994م ،ص165

[4] عبد العزيز عتيق، مرجع سابق، ص102

[5] البيت لأبي تمام في ديوانه ،مرجع سابق، ج2 ، ص38

شبه حال الرجل الكريم المحروم من الغنى بقمم الجبال ، لا يستقر عليها ماء السيل، فالتشبيه هنا لم يأت صريحاً فيهصورة من صوره المعروفة ، وإنما جاء ضمنياً مفهوماً من معنى الكلام . وقد وقع فيه المشبه به تعليلاً للمشبه .

ومن التشبيه الضمني أيضاً قول المتنبي:

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ ... مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ [1]

شبه حال من اعتاد الهوان فسهل عليه تحملبحال الميت ، لا يتألم إذا جُرِح ، وقد فُهِم التشبيه من المعنى العام للبيت[2].

ونحو قول ابن الرومي :

قَدْ يَشِيبُ الْفَتَى وَلَيْسَ عَجِيباً ... أَنْ يُرَى فَالنَّوْرُ الْقَضِيبِ الرَّطِيبِ [4]

معنى البيت أنه قد يعتري الفتى الشيب وهو في ريعان شبابه، وليس هذا بالأمر العجيب، لأن الغصن الندي قد يظهر فيه الزهر الأبيض قبل أوانه[5] .وفيه برهان واضح ودليل لا تفوته الطرافة على عدم الغرابة في ظهور الشيب على شعر الفتى اليافع .

ونحو قول أبي العتاهية*:

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا ... إِنَّ السَّفِينَةَ لاَ تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ [6]

المشبه هنا حال من يرجو النجاة من عذاب الآخرة ، ولا يسلك مسالك النجاة ، والمشبه به حال السفينة التي تحاول الجري على الأرض اليابسة[7].

فوائد التشبيه

فوائد التشبيه تعود في أغلب الأحيان إلى المشبه ، وهي إما :

---

[1] البيت للمتنبي في ديوانه ،مرجع سابق،ص164

[2] بسيوني عبد الفتاح فيود ،مرجع سابق، ص 133

[3] النور : الزهر الأبيض

[4] القضيب الرطيب : أي الغصن الغض الندي .. والبيت لابن الرومي في ديوانه ،ج1، ص79

[5] عبد العزيز عتيق،مرجع سابق ،ص 103

*أبو العتاهية (130-211هـ = 748-826م): هو اسماعيل بن القاسم بن سويد العيني ،أبو اسحق الشهير بأبي العتاهية . شاعر مكثر، سريع الخاطر ، كان ينظم المئة والمائة والخمسين بيتاً في اليوم ، كان جيد القول في الزهو والمديح ، وأكثر أنواع الشعر في عصره .وهو من مقدمة المولدين ، من طبقة بشار وأبي نواس ،وأمثالهما. ولد في (عين التمر) بالقرب من الكوفة ونشأ فيها ، وسكن بغداد .اتصل بالخلفاء وعلت مكانته عندهم . توفى ببغداد. له ديوان شعر مطبوع . الأعلام 321/1.

[6] أبو العتاهية ، ديوان ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ، د.ط ، 1406هـ-1986م ، ص230

[7] عبد العزيز عتيق ، مرجع سابق،ص104

1- بيان حاله: وذلك حينما يكون المشبه مجهول الصفة غير معروفة قبل التشبيه. فيفيده التشبيه الوصف. ومثال ذلك قول الشاعر:

إذا قامت لحاجتها تثنّت كأنّ عظامها من خيزران [1]

شبَّه عظامها بالخيزران بياناً لما فيها من اللين.

2- بيان إمكان حاله: وذلك حين يُسند إلى المشبه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له. ومثال ذلك قول الشاعر :

إن ظنوني الألمعيّ والله يلمي وقعها وظنّي بهم فظنّي يقين [2]

شبَّه نظرها بوقع السهام ، واعراضها بنزعها ، بياناً لإمكان إيلامها بهما جميعاً .

3- أو بيان مقدار حاله : [أي مقدار حاله في القوة والضعف والزيادة والنقصان] ، وذلك إذا كان المشبه معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية، فيأتي التشبيه يُبيّن مقدار هذه الصفة. كقول الشاعر:

مشى كما أنّ من يجاريها الصبا ليس بأحرابيّ ولا عجل [3]

وقول عنترة:

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الأسحم [4]

شبه الذياق السود بخافية الغراب بياناً لمقدار سوادها[5] .

4- **تقرير حاله:** أي تثبيت حاله في نفس السامع، وتقوية شأنه لديه، كما إذا كان ما أُسند إلى المشبه يحتاج إلى التأكيد والإيضاح بالمثال. وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ **لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ** ﴾[6] الآية الكريمة تتحدث في شأن عُبَّاد الأوثان الذين يتخذون آلهة غير الله، وتصفهم بأنهم إذا دعوا آلهتهم لا يستجيبون لهم، ولا يعود عليهم دعاؤهم إياهم بفائدة.

---

[1] البيت لبشار بن بُرد في ديوانه ، مرجع سابق ، ج4، ص 198 وصدر البيت (إذا قامت لحاجتها تثنَّت).

[2] البيت لابن الرومي في ديوانه ، ج3 ، ص352.

[3] البيت للأعشى ميمون بن قيس في ديوانه، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين ،بيروت-لبنان ، دار الكتب العلمية ، ط2، 1413هـ- 1993م ،ص130 .

[4] الخطيب التبريزي ،شرح ديوان عنترةقدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، بيروت،لبنان ،دار الكتاب العربي،ط1، 1412هـ-1992م،ص 154

[5] أحمد الهاشمي ،مرجع سابق، ص238

[6] سورة الرعد ، الآية 14

ومنه قول الشاعر :

فأصبحتُ من لَيْلَى الغداةَ كقابضٍ على الماءِ خانَهُ فُروجُ الأصابِعِ[1]

فحال الشاعر مع صاحبته ليلى هي حال مَنْ كلما دنا منها بعدت عنه ، أو حال مَنْ كلما أوشك أن يقترب منها أو يظفر بها أفلتت منه .

وقد أراد الشاعر أن يقرر هذه الحالة ويوضحها فشبهها بحال القابض على الماء بيده محاولاً إمساكه والظفر به ، فيسيل ويخرج من بين أصابعه .

ويلاحظ على هذا الغرض أنه لا يأتي إلا حينما يكون المشبه أمراً معنوياً ؛ لأن النفس لا تسلّم بالمعنويات تسليمها بالحسيات ، ومن أجل ذلك تكون في حاجة إلى الإقناع[2].

5- أو بيان إمكان وجوده ، وأنه ممكن الحصول ، كقوله :

فإن تَفُقِ الأَنامَ وأنتَ مِنهُم فإنَّ المِسكَ بَعضُ الغَزالِ[3]

6- أو مدحه وتحسينه :

كقول الشاعر :

فإنكَ شمسٌ ، والملوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهنّ كوكبُ[4]

7- أوتشويهه وتقبيحه:

نحو قول الشاعر[5] :

وَإذا أشارَ مُحَدِّثاً فَكَأَنَّهُ قِرْدٌ تَقَهْقَهُ أَوْ عَجوزٌ تَلْطِمُ[6]

ولا شك أن قهقهة القرد ولطم العجوز أمران مكروهان ومنفران في نفس الوقت.

وقد تعود فوائد التشبيه إلى المشبه به وذلك في حالة التشبيه المقلوب .

التشبيه باعتبار الغرض :

ينقسم التشبيه باعتبار الغرض إلى حسن وقبيح ، أو مقبول ومردود.

---

[1] البيت لقيس بن الملوح. ديوان مجنون ليلي ،شرح :يوسف فرحات،دار الكتاب العربي ، بيروت،لبنان ، د.ط، 1431هـ- 2010م ،ص 135.

[2] عبد العزيز عتيق، مرجع سابق ، ص108 ،109

[3] البيت للمتنبي في ديوانه ،مرجع سابق ،ص268

[4] تم توثيقه

[5] أحمد الهاشمي ،مرجع سابق ، ص170 ،171

[6] البيت للمتنبي في ديوانه ، مرجع سابق، ص57

1- **التشبيه الحسن أو المقبول** : هو الوافي بإفادة الغرض المطلوب منه ، وذلك بأن يكون المشبه به أعرف بوجه الشبه إذا كان الغرض بيان حال المشبه ، أو مقدار الحال، أو أتم شيء فيه إذا قصد إلحاق الناقص بالكامل ، أو مسلّم الحكم معروفاً عند المخاطب إذا كان الغرض بيان إمكان الوجود . وذلك هو النمط الذي تسمو إليه نفوس البلغاء[1].

كقول امرئ القيس :

عَلَى الذَّبْلِ جَيَّاشٍ كأنَّ اهْتِزَامَهُ إذَا جَاشَ فِيهِ حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ [2]

وكقول الشاعر يصف فرساً :

فكأنهما لاَلطَباحُ جبينَهُ فاقتصَّ منه وخاضَ في أَحشائهِ [3]

2- **التشبيه القبيح المردود** مالم يفِ بالغرض لعدم وجود شَبَه بين المشبه والمشبه به، أو مع وجوده ، لكن على بُعد[4].

[ولهذا القبح أنواع كثيرة منها ما يرجع إلى اللفظ أو المعنى أو الصياغة أو الخيال أو الأصول البلاغية التي يبنى عليها التشبيه] .

وذلك كقول الفرزدق[5] :

يَمُدُّونَ مِنْ شُطُوبٍ فَلِيقٍ كأنَّ حَدِيدَ كُحَيْلٍ بِهَا الكُحَيْلُ المُشَعَّلُ [6]

فقد شبّه الرجال في دروع الزرد بالجمال الجُرب ، وذلك من البعيد بمكان ، لأنه إن أراد السواد فلا مقاربة بينهما فيه ، فإن لون حديد الدروع أبيض ، وإن أراد شيئاً آخر فليس بواضح ، مع ما فيه من السخف[7] .

ومن التشبيه القبيح قول أبي تمام :

وتَقَاسَمَ اللَّذَّاتُ السَّمَاءَ مُخَيَّراً وَهَبَتْ أنتَ بِأَسْوَدَ نَامِهِ

---

[1] أحمد مصطفى المراغي ،مرجع سابق، ص238

[2] الجياش: الذي يزداد جرياً كلما حركته .اهتزامه :صوت اندفاعه . حميه:غليه كما تجيش القدر في غليانها .المرجل :القدر . والبيت لامرئ القيس في ديوانه ،مرجع سابق، ص119 . وروي في الديوان (على العقب جياش) .

[3] ذكره الثعالبي في يتيمة الدَّهر ،ج2، ص462 و الجرجاني في اسرار البلاغة ص286، والبيت منسوب لابن نباتة

[4] أحمد مصطفى المراغي ،مرجع سابق، ص238

[5] الفرزدق (... -110 هـ = ...-728م): هو : همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي ، أبو فراس ،الشهير بالفرزدق .شاعر من النبلاء ، من أهل البصرة ، عظيم الأثر في اللغة ،كان يقال لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، ولذهب نصف أخبار الناس . وهو صاحب الأخبارمع جرير والأخطل واشتهر بمهاجاته لهما فتق بالبصرة وقد قارب المائة .وقد جُمِع شعره في ديوان مطبوع .الأعلام 93/8.

[6] الفرزدق ،ديوان، بيروت-لبنان ، دار صادر ،د.ط ،1386هـ-1966م ، مج2،ص155.

[7] أحمد مصطفى المراغي ،مرجع سابق ، ص238 ، 239

وتركتْ للنَّسْرِ الإهابَ وما بَقِي مِنْ رِفْغِهِ وعُروقِهِ وعِظَامِهِ[2]

والقبح الفاحش في البيت الثاني. وكل هذا التعسُّف في التشبيه البعيد دندنة حول معنى ليس بطائل ؛ فإن غرضه أن يقول : ذهب بالأعلى ؛ وترك للناس الأدنى ، أو ذهبت بالجيد وتركت للناس الرديء[3].

وقد أساء أبو نواس في وصف الخمر في هذا البيت :

وإذا ما الماءُ لاقاها أظهرتْ شكلاً من الخَجَلِ

لؤلؤٌ يَنحدرُ بها كانحدارِ الدُّمْعِ من جَبَلِ[4]

فهو قد شبه الحبة في انحداره بنمل صغار ينحدر من جبل، ولا شك أن هذا التشبيه بعيد كل البعد[5] .

ومن التشبيه الرديء اللفظ ما جاء في وصف الناقة :

كأنَّ هِرًّا جنيباً تحت غَرْضِلَتِهَا[6] دِيكٌ برجْلَيْهَا وخِنْزِيرٌ[7]

يريد كأن هذه الحيوانات تهش هذه الناقة وتثيرها فهي لا تهدأ ولا تفتر .

ولو عبَّر الشاعر عن هذا المعنى بطريقة أخرى ، من غير ذكر هذه الحيوانات لكان أفضل وألطف من هذا التشبيه المبتذل .

بلاغة التشبيه وأسباب تأثيره في النفس

بلاغة التشبيه :

---

[1] الإهاب : الجلد ، والفرث : الأقذار

[2] أبو تمام، مرجع سابق، ج2 ،ص123.وفي الديوان(وتقسَّم الناس السخاء)

[3] ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مرجع سابق، ج2، ص151 ، 152

[4] أبو نواس ، مرجع سابق، ص432. وورد البيت في الديوان(كانحدار الدَّمْع في عَجَلِ)

[5] ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مرجع سابق، ج2، ص155 ، 156

[6] جنيب: جنيبة أي قادها إلى جنبه .. والغَرْضُ ، والغُرْضَةُ : بمعنى واحد ، وهو حِزَام الرَّحْلِ

[7] البيت لأوس بن حجر في ديوانه ، تحقيق وشرح :محمد يوسف نجم، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ،(د.ط) 1400هـ-1980م ، ص42.

التشبيه لا يُعمد إليه إلا لضرب من المبالغة فإما أن يكون مدحاً أو ذماً أو بياناً أو إيضاحاً ، ولا يخرج عن هذه المعاني الثلاثة ،وإذا كان الأمر كذلك فلا بد فيه من تقدير لفظة أفعل فإن لم تقدر فيه لفظة أفعل فليس بتشبيه بليغ ، ألا ترى أنا نقول في التشبيه المضمر الأداة زيد أسد فقد شبهنا زيداً بالأسد الذي هو أشجع منه، فإن لم يكن المشبه به في هذا المقام أشجع من زيد الذي هو المشبه وإلا كان التشبيه ناقصاً إذ لا مبالغة فيه[1] .

لذلك اشترطوا لبلاغة التشبيه أن يشبه الشيء بما هو أكبر منه وأعظم . يقول ابن الأثير " ومن ههنا غلط بعض الكتاب من أهل مصر في ذكر حصن من حصون الجبال مشبها له فقال: هالة عليها من الغمامة علمة و خلة خضبها الأصيل فكان اللهل منها قلامة) ، وهذا الكاتب حفظ شيئاً وغابت عنه أشياء ، فإنه أخطأ في قوله أنملة ، وأي مقدار للأنملة بالنسبة إلى تشبيه حصن على رأس جبل ؟ وأصاب في المناسبة بين ذكر الأنملة والقلامة وتشبيهها بالهلال"[2].

ومن شروط بلاغة التشبيه كذلك أن لا يشبه شيء حسن بشيء حسن فإنه إذا لم يشبه بما هو أحسن منه فليس بوارد على طريق البلاغة . وإن شبه قبيح بقبيح فلابد أن يكون المشبه به أقبح وإن قصد البيان والإيضاح فينبغي أن يكون المشبه به أبين وأوضح[3].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[4]، يقول ابن الأثير: " وهذا تشبيه كبير بما هو أكبر منه ؛ لأن خلق السفن البحرية كبير وخلق الجبال أكبر منه"[5].

ومما ذُكِر فالتشبيه يجمع ثلاثة صفات ، هي: المبالغة والبيان بالإضافة إلى صفة أخرى ثالثة وهي الإيجاز، لذلك وصفه ابن الأثيربأنه مستوعر المذهب بالنسبة لغيره من أنواع علم البيان، وهو مقتل من مقاتل البلاغة ويعزي السبب في ذلك أن حمل الشيء على الشيء بالمماثلة إما صورة، وإما معنى يعز صوابه وقَدْرُ الإجادة فيه، وقلما أكثر منه أحد إلا عَثر، كما فعل ابن المعتز[6]من أدباء العراق، وابن وكيع*من أدباء مصر، فإنهما أكثرا من ذلك لا سيما في وصف الرياض والأشجار، والأزهار والثمار، لا جرَمَ فأنهما أتيا بالثلج البارد الذي لا يَبُثُّ على محكِّ الصواب[7].

---

[1]ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مرجع سابق، ج2 ، ص127

[2]نفس المرجع السابق، ج2 ، ص124 ،125

[3]نفس المرجع السابق ، ج2 ، ص127

[4]سورة الرحمن ، الآية 24

[5]ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مرجع سابق ج2 ، ص127

[6]تمت ترجمته

ابن وكيع التنيسي (...-393هـ= ... 1003م):هو الحسن بن علي الضبي التنيسي أبو محمد ، المعروف بابن وكيع . شاعر مجيد،أصله من بغداد، مولده ووفاته بتنيس (بمصر) . له (ديوان شعر مطبوع) ، وكتاب (المصنف) في سرقات المتنبي . الأعلام 2 /201.

[7]ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مرجع سابق ،ج2 ، ص122 ،123

وأجود التشبيه وأبلغه عند أبي هلال العسكري ما يقع على أربعة أوجه ، هي :

1- إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ماتقع عليه ، مثل السراب والماء – في قول الله تعالى (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ)[1].

فأخرج ما لا يحُس إلى ما يُ حس ، والمعنى الذي يجمع بينهما بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة ، ولو قال : " يحسبه الرائي ماء " لم يقع موقع الظمآن ، لأن الظمآن أشد حاجة وفاقة للماء وأعظم حرصاً على الحصول عليه[2].

2-إخراج مالم تجرِ به العادة إلى ما جرت به العادة : نحوِ قولهِ تعالى (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[3].

هذا بيان ما جرت به العادة إلى ما لم تجر به ، والمعنى الذي يجمع بين الأمرينالزينة والبهجة ثم الهلاك . وفي ذلك العبرة لمن يريد أن يعتبر والموعظة لمن يريد أن يتذكر.

فإنوانخوشقولهتعالىالسَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ)[4]، فالجامع للمعنيين الحمرة ولين الجوهر ، وفيه الدلالة على عظم الشأن ، ونفوذ السلطان .

3- إخراج ما لا يعرف بالبديهة العقلية إلى ما يعرف بها (عن طريق التمثيل)، ومن ذلك قوله (سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ)[5].

فقد أخرج ما لا يعرف بالبديهة إلى ما يعرف بها والجامع بين الأمرين العظم ، والفائدة فيه التشويق إلى الجنة بحسن الصفة[6] .

كذلك نحوكَقَوْلِهِ تَعَالَى:(كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ)[7].

والجامع بين الأمرين خلو الأجساد من الأرواح ، والفائدة الحث على احتقار ما يؤول به الحال.

4- إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة فيها ، كقول الله وعزَلَهُوجَلَّ(وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ)[1]. الجامع بين الأمرين (السفنو الجبال) هو العظم ، والفائدة البيان عن القدرة في تسخير الأجسام العظام في أعظم ما يكون من الماء[2].

---

[1] سورة النور، الآية 39

[2] أبو هلال العسكري ، مرجع سابق ، ص262

[3] سورة يونس، الآية 24

[4] سورة الرحمن، الآية 37

[5] سورة آل عمران، الآية 133

[6] أبو هلال العسكري ، مرجع سابق ، ص263

[7] سورة الحاقة ، الآية 7

تأثير التشبيه في النفس :

ولذلك أسباب منها:

- ما يحصل للنفس من الأُنس بإخراجها من خفي إلى جلي؛ كالانتقال مما يحصل لها بالفكرة إلى ما يُعلم بالفطرة، أو بإخراجها مما لم تألفه إلى ما ألفته. كما قيل:

ما الحُبُّ إلا للحَبيبِ الأولِّ [3]

- أو مما تعلمه إلى ما هي به أعلم؛ كالانتقال من المعقول إلى المحسوس؛ فإنك قد تعبر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ، نحو قولك وأنت تصف اليوم بالقِصَر" يوم كأقصر ما يُتصور"، فلا يجد السامع له من الأنس ما يجده لنحو قولهم"أيام كأباهيم القِطَا"، وقول الشاعر:

ظَلِلْنَا عند بابِ أبي نُعَيْمٍ بيومٍ مِثْلِ سالِفةِ الذُّبابِ [4]

وكذا تقول: "فلان إذا همّ بالشيء لم يزل ذاك عن ذكره، وقصر خواطره على إمضاء عزمه فيه، ولم يشغله عنه شيء" فلا يصادف السامع له أريحية، حتى إذا قلت:"إذا همَّ ألقى بين عينيه عزمَهُ "[5] ،امتلأت نفسه سروراً ، وأدركته هزة لا يمكن دفعها عنه. ومن الدليل على أن للإحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره، أنك إذا كنت أنت وصاحب لك يسعى في أمر على طرف نهر، وأنت تريد أن تقرر له أنه لا يحصل من سعيه على طائل، فأدخلت يدك في الماء ثم قلت له: "انظر: هل حصل في كفي من الماء شيء؟ فكذلك أنت في أمرك". كان لذلك ضرب من التأثير في النفس وتمكين المعنى في القلب زائد على القول المجرد[6].

- ومن أسباب تأثير التشبيه في النفس الاستطراف[7] لذلك كما مرّ من تشبيه البنفسج بالنّار[8].

"ومن فضائل التشبيه أنه يأتيك من الشيء الواحد بأشباهٍ عِدَّة ،ويشتق من الأصل الواحد أغصاناً في كل غصن ثمرٌ على حِدة... نحو أن يعطيك من" القمر" الشهرة في الرجل، والنباهة والعز

---

[1] سورة الرحمن ، الآية 24

[2] أبو هلال العسكري ، مرجع سابق ، ص264

[3] البيت لأبي تمام في ديوانه، مرجع سابق ،ج2،ص290. والبيت (نقِّل فُؤادَكَ حيثُ شئتَ من الهوى) .

[4] ذكره القزويني في الإيضاح ص166 ، والجرجاني في أسرار البلاغة ص 128، والنويري في نهاية الأرب في فنون الأدب ج7، ص42 .والبيت بلا نسبة. ومعنى سالفة الذباب : أي عنقه

[5] ذكره القزويني في الإيضاح ص166 ، والجرجاني في أسرار البلاغة ص 128، والبغدادي في خزانة الأدب ،ج 8، ص141. وعجز البيت (ونَكَّبَ عن ذِكرِ العواقب جانباً). ونسبه لسعد بن ناشبٍ المازني .

[6] القزويني ، مرجع سابق ، ص166 ، 167

[7] الاستطراف يعني : أن يكون التشبيه طريفاً بديعاً يحتاج إلى إمعان نظر .

[8] القزويني ، مرجع سابق ، ص182

والرفعة ،ويعطيك الكمال عن النقصان، والنقصان بعد الكمال، كقولهم: "ذ َم َ ا فعاد بدراً "، راد بلوغ الذ َج ْ ل الكريم الم َ ب ْ لَغ الذي ي ُش ْ بِه أصله من الفضل والعقل وسائر معاني الشرف"[1].

كقول أبي تمام:

لهفي على تلك الشواهد فيهما ... لو مأ ْ هِلت حتى تصير شمائلاً[2]

لغدا سكوتُ هما بحجّ وصيابَاهُ ما ... حملا لأرْيحيّةُ نائلاً

ولأعْقَب النّجْحُ ذبيمةً ... ولعادَ ذاكَ الطّوْدُ راسياً وابلاً

إن الهلال إذا رأيْتَ نُموّه ... أيقنْتَ أن سيصيرُ بدراً كاملاً

والنقصان عن الكمال؛ كقول الشاعر:

إن كنْتَ تبْغي العزّ فابْغِ سطاً ... فعندَ التّناهي يَقْصُرُ المُتطاوِل[3]

تَوَقّى البُدورُ النّقصَ لمّا أهلّتْ ... ويُدْرِكُها النّقصُ وهْيَ كواملُ

وتتفرع من حالتي كماله ونقصه فروع لطيفة؛ كقول الشاعر :

رأيْتُ طُرُقَ المَجْدِ لا تُثْلَمُ كماله ... والبدرُ في شَطْرِ المَسافَةِ يَكْمُلُ[4]

وقول الشاعر

أراك إذا أيسرتَ خيّمتَ عندنا ... مقيماً وإن أعسرتَ زُرتَ لِمامَا[5]

فما أنت إلا البدرُ إن قَلّ ضوءُه ... أغَبّ وإن زادَ الضياءُ أقامَا

المعنى لطيف وإن لم تساعده العبارة على ما يجب؛ لأن الإغباب أن يتخلل بين وقتي الحضور وقت يخلو منه، فإنما يصلح لأن يراد أن القمر إذا نقص نوره لم يوالِ الطلوع في كل ليلة، بل يظهر في بعض الليالي دون البعض، وليس الأمر كذلك؛ لأنه -على نقصانه- يطلع كل ليلة حتى تكون السّرار[6].

وكذا يُنظر إلى بعده وارتفاعه، وقرب ضوئه وشعاعه[7]، كما في قول البحتري :

دانٍ على أيْدي العُفاةِ وشاسِعٌ ... عَنْ كُلّ نِدّ في النّدى وضريبِ[8]

كالبَدْرِ أفْرَطَ في العُلُوّ وضَوْءُهُ ... للعُصْبَةِ السّارِينَ كالقَرِيبِ[2]

---

[1] الجرجاني ،أسرار البلاغة، مرجع سابق ،ص136

[2] أبو تمام ، مرجع سابق ، ج2 ،ص231

[3] البيت لأبي العلاء المعرى في ديوانه.(سقط الزند) ،بيروت ،لبنان، دار صادر للطباعة والنشر ، د.ط، 1376هـ-1957م، ص196

[4] ذكره القزويني في الإيضاح ص167،والجرجاني في أسرار البلاغة ص137،ومحمد بن علي بن محمد الجرجاني في الإشارات والتنبيهات،ص155،والبيت منسوب لابن بابك .

[5] ذكره القزويني في الإيضاح ص167،والجرجاني في أسرار البلاغة ص137 ،ومحمد بن علي بن محمد الجرجاني في الإشارات والتنبيهات،ص155،والبيت منسوب لأبي بكر الخوارزمي .

[6] القزويني ، مرجع سابق،ص167 ،168

[7] نفس المرجع السابق،ص168

[8] العُفاة: طالبوا العطاء . دان : قريب النّدى: من ولِد معك . الضريب : المثيل .

وا إلى ظهوره في كل مكان، كما في قول الشاعر[3] :

كالبدرِ من حيثُ التفتَّ رأيتَه يُهدي إلى عينيك نوراً ثاقبا[4]

ويرى عبد القاهر الجرجاني أن من أثر التشبيه في النفستصويرَ الشَّبه بين المختلفين في الجنس؛ إذ أنه" كلما كان التباعدبين الشيئين أشدّ ، كان ذلك إلى النفوس أعجب ..، وذلك أن موضعَ الاستحسان، ومكانَ الاستظراف، والمُثيرَ للدفين من الارتياح، والمتألّفَ للنافر من المَسرة، والمؤلّفَ لأطراف البَهْجة ؛ أنك ترى بالشيئين مِثْلَيْن متباينين، ومؤتلفين مختلفين، وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض، وفيالإنسان وخِلال الروض، وهكذا، طرائفَ تتنالُ عليك إذا فصّلتَ هذه الجملة، وتتبّعت هذه اللمحة".

وتشبيهُ البَنَفْسَج في قول الشاعر:

وَلازَرْدِيَّةٌ تَحْتَ الْبَنَفْسَجِ رَاقِدٌ تَصَفَّحَ وَجْهَهَا بِالْخَدِّ حَتَّى تَوَرَّدَا

كَأَنَّهُمَا فِي حَالَتَيْهِمَا أَوَائِلُ النَّارِ أَظْهَرَ الْفَحْمُ مِنْهَا أَمْ تَبَدَّى[5]

جمع الشاعر في تشبيهه بين زهر البنفسج والنار وهماكما ذُكِر سابقاً - جنسان متباعدان .

ويفصّل الجرجاني القول فيتصويرَ الشَّبه بين المختلفين في الجنس؛ ومدى تأثيره في النفس وتقريبه الطباع وموضوعُ الجِدَّة، على أن الشيء إذا ظهر من مكان لم يُعْهَد ظهوره منه، وخرج من موضعٍ ليس بمعدنٍ له، كانت صَبابةُ النفوسِ به أكثر، وكان بالشَّغَف منها أجدر.. ولو أنه شَبَّه البنفسج ببعض النبات، أو صادف له شبهفي شيء من المتلوّنات، لم تجد له هذه الغرابة، ولم ينل من الحسن هذا الحظ"[6]

فالتشبيه "يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بُعد مابين المشرق والمغرب .. ويريك للمعاني الممثلة بالأوهام شبهاً في الأشخاص الماثلة .. وينطق الأخرس .. ويعطي البيان من الأعجم ويريك الحياة في الجماد ، ويُري التئام عين الأضداد فيأتيك بالحياة والموت مجموعين ، والماء والنار مجتمعتين ، كقول الشاعر[7] :

أنا نارٌ في مُرتقى نَظَرِ الحا سِدِ ماءٌ جارٍ مع الإخوان[8] .

ويجعل الشيء حلواً مرّاً ، وصاباً عسلاً ، وقبيحاً حسناً، وقريباً بعيداً معاً"

---

[1] العصبة : الجماعة . السارين : السائرون الليل كله .

[2] البحتري ،مرجع سابق، ج1 ،ص149

[3] القزويني ، مرجع سابق،ص168

[4] البيت للمتنبي في ديوانه ،مرجع سابق، ص111 ومعنى ثاقباً : أي مضيئاً

[5] الجرجاني ،أسرار البلاغة ،مرجع سابق، ص130

[6] نفس المرجع السابق ، ص131

[7] نفس المرجع السابق ،ص132

[8] أورده الجرجاني بلا نسبة في أسرار البلاغة ،مرجع سابق، ص132

وللجرجاني في بيان أثر التشبيه في النفس روائع كثيرة ، وقد استصحب الكثير من الأمثلة التي تبين ذلك ، شارحاً ، ومستقصياً لمواطن الجمال فيها .

مراتب التشبيه :

مراتب التشبيه ثمانٍ :

المرتبة الأولى: أن تذكر أركانه الأربعة ، وهي المشبه ، والمشبه به ، ووجه الشبه ، والأداة. نحو :(زيد كالأسد في الشجاعة) ، بيد أن هذه المرتبة لا قوة لها في التشبيه .

المرتبة الثانية : ترك المشبه . نحو قولك :(كالأسد في الشجاعة) ، وهي كالأولى في عدم القوة.

المرتبة الثالثة : ترك أداة التشبيه. نحو قولك: (زيد أسد في الشجاعة) وفيه نوع بسيط من القوة.

المرتبة الرابعة : ترك المشبه والأداة . كقولك (أسد في الشجاعة) في موضع الخبر عن زيد، وهي كالثالثة في القوة .

المرتبة الخامسة : ترك وجه التشبيه ، كقولك : زيد كالأسد ، وهي أيضاً قوية لعموم وجه التشبيه .

المرتبة السادسة : ترك المشبه ووجه التشبيه ، كقولك: (كالأسد) في موضع الخبر عن زيد وحكمها كحكم الخامسة .

المرتبة السابعة : ترك أداة التشبيه ووجه التشبيه، كقولك: (زيد أسد)، وهي أقوى الكل،[ويسمى التشبيه الوارد على هذا النحو بالتشبيه البليغ] .

الثامنة : إفراد المشبه به في الذكر ، كقولك: (أسد) في الخبر عن زيد ، وهي كالسابعة[1].

[1] السكاكي ، مرجع سابق ، ص355

المبحـــث الثانـــــي

المجـــــــاز

المجاز لغةً :

المجاز في اللغة هو التجاوز والتعدّي.

جاء في لسان العرب: وجاز الموضع جَوْزاً وجُوُوزاً وجَوازاً ومَجازاً وجاز به وجاوَزه جِوازاً وأَجازه وأَجاز غيره وجازَه: سار فيه والملكة المجازُ والمَجازَةُ : الموضع، جُوزْت الموضع سرت فيه"[1] .

المجاز اصطلاحاً :

وقد بيَّن عبد القاهر الجرجاني العلاقة بين اللغة والاصطلاح في اشتقاق لفظ المجاز، فالمجاز عنده:

المجاز (المجازُ) من الشيء ، إذا جُزْتَه . إذا عُدِلَ باللفظِ عمَّا يُوجِبُهُ أصل اللغة فهو بأنَّه مجاز، على معنى أنَّهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وُضِع فيه أولاً"[2].

وعرّفه مرة أخرى بقوله: " المجاز كلمة أُرِيدَ بها غير ما وقعت له في وَضْعٍ واضعها، لملاحظةٍ بين الثاني والأول. أو كلمة جُزْتَ بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم تُوضع ، من لغير أن تستأنف فيها وضعاً ، لملاحظةٍ بين ما تُجُوّز إليه ، وبين أصلها الذي وُضِعت له في وضع واضعها"[3].

والتعريف الشائع للمجاز هو" اللفظ المستعمل في غير ما وُضِع له ، لعلاقة ، مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي"[4].

---

[1] ابن منظور ، مرجع سابق ،مادة (جوز) ،مج5 ، ص381 ، 382

[2] الجرجاني ،أسرار البلاغة ،مرجع سابق، ص395

[3] نفس المرجع السابق ، ص351 ، 352

[4] أحمد الهاشمي، مرجع سابق ، ص251

وكل مجاز له حقيقة ؛ [لأنه لم يُطلق عليه لفظ (مجاز) إلا لنقله عن حقيقة موضوعة]. وليس من ضرورة كل حقيقة أن يكون لها مجاز[1].

إذن كلمة الحقيقة تقابل في معناها معنى المجاز ، وقد عرّفها الجرجاني بقوله " كل كلمة أريد بها ما وقعت له في وَضْعِ واضع وإن شئت قلت في مُواضعة –وقوعاً لا تستند فيه إلى غيره فهي (حقيقة) [2] .

والحقيقةُ اللُّغويةُ عند ابن الأثير هي حقيقة الألفاظ في دلالتها على المعاني وليست بالحقيقة التي هي ذات الشيء ، أي نفسه وعينه ، فالحقيقة اللفظية إذن هي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة، والمجاز هو نقل المعنى عن اللفظ الموضوع له إلى لفظ آخر غيره[3] .

ويقول ابن الأثير مفرّقاً بين الحقيقة والمجاز: " فالاسم الموضوع بإزاء المسمى هو حقيقة له ، فإذا نقل إلى غيره صار مجازاً . ومثال ذلك أنا إذا قلنا (شمس) أردنا به هذا الكوكب العظيم الكثير الضوء ، وهذا الاسم له حقيقة لأنه وضع بإزائه . وكذلك إذا قلنا (بحر) أردنا به هذا الماء العظيم المجتمع الذي طعمه ملح ، وهذا الاسم له حقيقة لأنه وضع بإزائه. فإذا نقلنا (الشمس) إلى الوجه المليح استعارةً ، كان ذلك مجازاً لا حقيقة ، وكذلك إذا نقلنا (البحر) إلى الرجل الجواد استعارةً كان ذلك له مجازاً لا حقيقة[4].

ولا يُعنى البلاغيون بالحقيقة كثيراً، وإنما تنصب عنايتهم على المجاز وأساليبه، لتفاوت الأفهام فيه، ولاتساع مجاله الذي يتيح للأدباء حرية التصرّف والإبداع ، في حين لا يستطيعون الخروج على الحقيقة خروجاً واضحاً لأنها مرتبطة بالوضع الأصلي ومقيدة بالمعجم الذي يحدد أبعادها[5] .

وبالرجوع إلى تعريف المجاز يتضح أن المجاز لا بد فيه من خمسة أمور :

1-الكلمة

2 – المعنى الحقيقي الذي وضعت له الكلمة

3-المعنى المجازي الذي استعملت فيه الكلمة ثانياً .

4- العلاقة : وهي الصلة بين المعنيين (الحقيقي والمجازي) ، ولولاها ما استطعنا أن ننقل الكلمة من معناها الأول الذي وضعت له إلى معناها الثاني الذي استعملت فيه.

---

[1] ضياء الدين بن الأثير، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، مرجع سابق، ص30

[2] الجرجاني ،أسرار البلاغة ،مرجع سابق، ص350

[3] ضياء الدين ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،مرجع سابق، ج1، ص85

[4] أنظر المرجع السابق نفسه ، ج1، ص85 ، 86

[5] أحمد مطلوب ، فنون بلاغية (البيان-البديع) ، الكويت، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع ،ط1، 1395هـ-1975م، ص83

5- القرينة التي تبين لنا أن المعنى الحقيقي غير مراد، وأن المعنى المجازي هو المقصود[1].

فمثلاً كلمة (الشمس) تطلق على ذلك الجرم السماوي المضيئ وهذا هو معناها الحقيقي الذي وُضِعت له أولاً ، ولكن قد تستعمل في معنى آخر إذا أُطلِقت على الوجه المضيء المتلألئ ، فتصير بذلك مجازاً لا حقيقة ، وكذلك إذا استعملنا كلمة (أسد) في الرجل الشجاع ، و(السحاب والبحر) في الرجل الكريم ، فكلها تحمل معنيين : الأول الحقيقي، والثاني المجازي. وليس من الممكن أن تنقل أي كلمة من معناها الأساسي إلى أي معنى آخر اعتباطاً ، فلا بد من وجود صلة وثيقة بين المعنين (الحقيقي والمجازي) . وهذا ما يعبرون عنه في تعريف المجاز (بالعلاقة) .

كما يُحدد تعريف المجاز أيضاً عنصراً مهماً ، ألا وهو ضرورة وجود قرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي [لفظية أو حالية]. فإذا قلت (رأيت بحراً) فإن المتبادر إلى الذهن من هذه العبارة أنه البحر الحقيقي ، لكن إذا قلت (رأيت بحراً يسير في القافلة) فإن عبارة (يسير في القافلة) تمنع من إرادة البحر الحقيقي[2] فالقرينة هنا لفظية، أما الحالية فهي التي تُفْهم من سياق الكلام .

أقسام المجـاز :

يُقسّم علماء البلاغة المجاز قسمين :

1- المجاز العقلي : ويكون في الإسناد ، ونسبة الشيء إلى غير ما هو له ، أي في إسناد الفعل، ويسمى (المجاز الحكمي) و(الإسناد المجازي) ولا يكون إلا في التركيب .
2- المجاز اللغوي : ويكون في نقل الألفاظ عن حقائقها اللغويةإلى معانٍ أخرى بينها صلة ومناسبة. وهذا المجاز يكون في المفرد ، كما يكون في التركيب المستعمل في غير ما وضع له . وهو نوعان:

أ/ مجاز تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهة ، ويسمى المجاز الاستعاري أو الاستعارة .

ب/ مجاز تكون العلاقة فيه غير المشابهة ويسمىلملجاز المرسل وسمي مرسلاً لأنه لم يُقيد بعلاقة المشابهة ، أو لأن له علاقات كثيرة لا تكاد تحصر[3] .

---

[1] فضل حسن عباس، مرجع سابق ، ص136

[2] نفس المرجع السابق ، ص135، 136

[3] محمد بركات حمدي أبو علي ، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل ، الأردن- عمان، دار البشير للنشر والتوزيع ، ط1 ، 1412-1992م، ص27.

المجاز العقـــلي

يُعرَّف المجاز العقلي بأنه :" هو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له ، غير ماهو له بتأوُّل"[1].

وللفعل ملابسات شتى: يلابس الفعل، والمفعول به، والمصدر، والزمان، والمكان ، والسبب. وسمي هذا المجاز عقلياً لاستناده إلى العقل دون الوضع اللغوي، وذلك أن الألفاظ في هذا المجاز لم تخرج فيه عن وضعها اللغوي ، وإنما كان المجاز والنقل في الإسناد، وهو أمر عقلي[2].

وقد عدَّ كثير من علماء البلاغة المجاز العقلي في علم المعاني - كما فعل عبد القاهر الجرجاني والقزويني -لأنه قسمٌ من الإسناد ، والإسناد وما يتصل به من مباحث علم المعاني، وبعضهم يذكره في علم البيان ؛ لأن المجاز من مباحث علم البيان[3] .

ومن أمثلة هذا النوع من المجاز أن يقال: (بنى خوفو الهرم الأكبر)، فالفعل (بنى) أُسند إلى غير فاعله ، فخوفو لم يبن الهرم الأكبر ، وإنما بناه عماله ، ولما كان خوفو سبباً في البناء أُسند الفعل إليه . ففي الإسناد هنا مجاز عقلي علاقته (السببية).

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر :

سَتُبْدِي لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً ... وَيَأْتِيكَ بِالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ [4]

الفعل (سبتدي) أسند إلى (الأيام) ، أي أسند إلى غير فاعله الحقيقي ؛ لأن فاعله الحقيقي هو (حوادث الأيام) ، والذي سوغ هذا الإسناد أن المسند إليه (الأيام) زمان الفعل ، فإسناد الإبداء إلى الأيام مجاز عقلي علاقته (الزمانية)[5] .

ومثال المجاز العقلي الذي علاقته المكانية : (ذهبنا إلى حديقة غناء). فلفظة (غَنَّاء) مشتقة من الغِنّ ، والحديقة التي هي مكان لا تغُنِّي إنما الذي يُغنِّي عصافيرها أو ذبابها، ففي الكلام مجاز عقلي علاقته (المكانية) [6].

---

[1] القزويني، مرجع سابق، ص 32

[2] نفس المرجع السابق ، ص 32، 33

[3] فضل حسن عباس، مرجع سابق ، ص 143

[4] تم توثيقه

[5] عبد العزيز عتيق،مرجع سابق ، ص 145 ،146

[6] نفس المرجع السابق ، ص151

ومن المجاز العقلي الذي علاقته الفاعلية قوله تعالى: (وَعْدُهُ مَأْتِيًّا)[1]، نجد أن كلمة (مأتيا) جاءت بدل كلمة (آت) فاستعمل هنا اسم المفعول مكان اسم الفاعل ، أو بعبارة أخرى أُسند الوصف المبني للمفعول إلى الفاعل، فالعلاقة الفاعلية[2].

ومن علاقة المفعولية قول النابغة :

بِفَكِّيْ كأنّي ساورَتْني ضَئِيلَةٌ مِن الرُّقْشِ[3] في أنيابِها السُّمُّ ناقِعُ[4]

فالمجاز في قوله (السم ناقع)، وإسناد النقع إلى ضمير السم إسناد مجازي غير حقيقي؛ لأن السم لا يفعل النقع على الحقيقة فما هو الذي يُفعَل به النقع ، وبمعنى آخر أن السُّم لا يكون ناقعاً وإنما يكون منقوعاً في ماء أو نحوه. ففي كلمة (ناقع) مجاز عقلي علاقته (المفعولية).

ومن علاقة المصدرية قوله تعالى: (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ)[5]، فالفعل (نُفخ) المبني للمجهول لم يُسند إلى نائب فاعله لحقيقي وإنما أسند إلى مصدره (نفخة) أي أسند إلى غير ما هو له لعلاقة المصدرية . فهذا مجاز عقلي علاقته (المصدرية) [6] .

قرينة المجاز العقلي:

لفظية: مثال (شيبتني هُودٌ وأخواتُها ، شيبَني ما يتوعَّدُ المشركين فيها)[7] ، فقد ذكرت القرينة وهي (ما يتوعد المشركين) ، وبُيِّن الفاعل الحقيقي للإشابة .

2معنوية : أساسها استحالة قيام المُسند بالمسند إليه المذكور معه ، إما من ناحية العقل نحو أن يقال : (محبتُك جاءت بي إليك)؛ فإن إسناد المجيء إلى المحبة مستحيل عقلاً . وأما من ناحية العادة نحو أن يقال: (هزَم الأميرُ الجُندَ) فالعادة تحكم باستحالة هزم الأمير وحده الجُند[8].

القيمة البلاغية للمجاز العقلي :

المجاز العقلي أسلوب من أساليب اللغة العربية, يزيد سعة هذه اللغة, وقدرتها على تجاوز حدود الحقيقة إلى الخيال. وقد قال فيه عبد القاهر الجرجاني منوهاً بشأنه :

هذا الضرب من"المجاز على حدته كنزٌ من كنوز البلاغة، ومادَّةُ الشاعر المُفلق، والكاتب البليغ، في الإبداع، والإحسان، والاتساع في طُرُق البيان. ومن أمره أنك ترى الرجل يقول: الشوق إلى لقائك، وسار بي الحنين إلى رؤيتك، وأقدمني بلدك حقٌ لي على إنسان، وأشباه أدى بي

---

[1] سورة مريم ، الآية (61)

[2] عبد العزيز عتيق،مرجع سابق ، ص146

[3] ساورتني : واثبتني ، والضئيلة : هي أفعى دقيقة اللحم والرُّقْش :الواحدة رقشاء : التي فيها نقط بيض وسود

[4] النابغة الذبياني ، مرجع سابق ،ص80

[5] سورة الحاقة ، الآية (13)

[6] عبد العزيز عتيق ، مرجع سابق، ص 153 ، 154

[7] أول العبارة حديث نبوي ، رواه االتبريزي في مشكاة المصابيح بإسناد صحيح ،كتاب الرقاق ، حديث رقم (5353) مج3 ، ص1471 . عن أبي جحيفةقال: يا رسولَ الله ! قد شِبْتَ ؟ ! قال شيَّبتني هودٌ وأخواتُها"). أما آخر العبارة فليست من الحديث .

[8] عيسى العاكوب،المفصَّل في علوم البلاغة العربية (المعاني –البيان- البديع) ، حلب-سوريا، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، د.ط، 1421هـ-2000م ، ص528

ذلك، مما تجد معه وشهرته يجري مجرى الحقيقة لا يشكل أمرها فليس هو كذلك أبداً بل يدق ويلطف ، حتى يمتنع مثله إلا على الشاذ الفذ والكاتب البليغ، ويأتي بالبدعة لم تعرفها، والنادرة تأنق لها"[1].

المجـــاز المرســـل

عرّفه البلاغيون بأنه "هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له، لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي"[2].

وللمجاز المرسل علاقات كثيرة ، ومعنى (علاقة) أي أن يكون هناك تلازم وترابط يجمع بين المعنيين ، ويسوغ استعمال أحدهما في موضع الآخر[3].

ومن علاقات المجاز المرسل :

1-السببية : [وذلك بأن يطلق لفظ السبب ويراد المسبب]. أو بعبارة أخرى تسمية المسبب باسم للسبب ، وإنما يكون ذلك حين يقوى في تصورهم تأثير السبب في المسبب ويريدون البيان عن ذلك، وأن المسبب لا يتخلف عنه ، حتى كأنه هو ، كاطلاقهم الغيث على النبات فيقولون (رعينا الغيث) يشيرون بذلك إلى أن النبات المرعى كان عن الغيث أي (رعينا النبات الذي أنبته الغيث) فيبرزون بذلك أهمية الغيث[4].

نحو قوله تعالى: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ)[5] أراد سبحانه وتعالى : (ونعرف أخباركم) ولكنه عبر بالابتلاء الذي هو سبب المعرفة لأن الابتلاء يتبعه موقف جديد ، أما زيادة تأصيل الإيمان بالله ، أو الخزلان وانهيار الإيمان ، وضياع العقيدة ، وبعد ظهور هذا الموقف وانكشاف حقيقة المبتلى يصبح علم الله متعلقاً بالمعلوم الواقع، والمولى عز وجل عليم بكل شيء ولا يحتاج في علمه إلى ابتلاء[6].

2- **المسببية** : [وفيها يطلق لفظ المسبب ويراد السبب] ، وذلك نحو قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا)[7] ، فقد عبَّر عن المطر بالرزق ، فأشار إلى قوة السببية بين المطر والرزق ، وأهمية المطر ، وأنه مصدر الحياة ، وفيه أن الرزق ينزل بقدر الله وفعله سبحانه وتعالى . فالمجاز في كلمة (رزقاً) وعلاقته المسببية .

---

[1] الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، مرجع سابق ، ص 295

[2] بسيوني عبد الفتاح فيود ، مرجع سابق ، ص145

[3] نفس المرجع السابق ونفس الصفحة

[4] محمد أبو موسى، التصوير البياني (دراسة تحليلية لمسائل البيان)، القاهرة، ، مكتبة وهبة ، ط3 ، 1413هـ-1993م، ص347

[5] سورة محمد ، الآية (31)

[6] محمد أبو موسى ،مرجع سابق ، ص 350

[7] سورة غافر ، الآية (13)

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا)[1]. والذين يأكلون أموال اليتامى لا يأكلون ناراً ، وإنما يأكلون أموال اليتامى ، ولما كان ذلك مؤدياً إلى النار حتماً وسبباً في عذابها قطعاً عبّر عنه به . وفيه مع إبراز هذه السببية وتقويتها تفظيع وتنفير يظهر في هذه الصورة (يأكلون في بطونهم ناراً) القوم يَقْذِفون النار في أفواههم فتندلع في بطونهم[2]. ولا شك أنها صورة شنيعة والعياذ بالله .

3- **الجزئية** :[وفيها يُطلق الجزء ويُراد الكل] ،وذلك بأن يكون اللفظ المستعمل جزءاً من المعنى المراد . نحو قوله تعالى: (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ)[3] ، والمقصود هنا تحرير الإنسان المؤمن، والرقبة جزء منه. ومن هذا أيضاً اطلاق العين على الجاسوس كأن يُقال:(ما أجدر أمتنا أن تبث العيون لتتقي مكر عدوها)[4] ، ولا شك أن العين جزء من الجاسوس .

ويدخل في ذلك أيضاً قوله تعالى: (قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً)[5] ، ونحو قولهم: (لا أُصلي أبداً)[6] أي لا تُصلي ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه)[7]، أي من صلى[8].

ويُلاحظ أن القرآن الكريم يسمى الصلاة قياماً لأن القيام ركن من أركانها ، ويسميها أيضاً الذكر والركوع والسجود ، وكل هذه أساسيات الصلاة ، وذلك لأن الجزء الدال على الكل والنائب منابه لا بد أن يكون من صميمه. وهذا من الاعتبارات المهمة لعلاقة الجزئية في المجاز المرسل ، وهي أن الجزء الدال على الكل لا بد أن يكون جزءاً مهماً وأساسياً فيه ، فليس كل جزء صالحاً لأن يراد به الكل[9].

4- الكلية :[تسمية الشيء باسم كلّه] ، وذلك فيما إذا ذُكِر الكل وأُريد الجزء ، نحو قوله تعالى: **يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ)[10].** ومن المعلوم أن الأصبع لا يمكن أن يُجعل كله في الأذن، ولكن لما كان الغرض التمثيل لحال المنافقين بحال ذوي الصيّب الذين تزعجهم أصوات الرعد ، فلو استطاعوا أن يجعلوا أصابعهم كلها في آذانهم لفعلوا ذلك . فقد عبَّر بالأصبع وأراد الأنملة ،

---

[1] سورة النساء ، الآية (10)

[2] محمد أبو موسى ،مرجع سابق ،ص 352

[3] سورة النساء ، الآية (92)

[4] فضل حسن عباس، مرجع سابق، ص154 ،155

[5] سورة المزمل ، الآية (2)

[6] سورة التوبة، الآية (108)

[7] رواه مسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ،باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح ، حديث رقم (759)، مج 1،ص343. والحديث عن أبي هريرة .

[8] القزويني، مرجع سابق، ص207

[9] محمد أبو موسى ،مرجع سابق ،ص 355

[10] سورة البقرة ، الآية (19)

فالعلاقة بين الأصبع والأنملة علاقة الجزء بالكل. ومثال ذلك أيضاً :(شربت ماء الفرات)، والمقصود(شربت جزءاً منه)[1].

5-**الحالية**وهي أن يكون اللفظ المستعمل حالاً في المعنى المراد ، فيُطلق اسم الحال ويُراد المحل ، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[2]، فالمراد من الآية الكريمة أنهم خالدون في الجنة ، ولكن لما كانت الجنة محلاً للرحمة ، والرحمة حالةٌ في الجنة ، حَسُن أن يحلَّ أحد المعنيين محل الآخر ، أو إحدى الكلمتين محل الأخرى . وكذلك نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾[3].

والمقصود الجنة التي هي محل للنعيم وهو حالٌ فيها[4] .

6-**المحلية**وذلك فيما إذا ذُكِر لفظُ المحل وأُريد الحالُّ فيه] ، نحو قوله تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾[5]، فالمجاز في كلمة (ناديه) ، والنادي مكان اجتماع الناس ، والمراد أهل ناديه أي مجلسه أو (أهله وعشيرته). ومن ذلك أيضاً التعبير باليد عن القدرة نحو قوله تعالى: ﴿ الْمُلْكُ ﴾ [6]، وقوله تعالى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [7]والقرية لا تسأل وإنما يسأل الناس الذين فيها . وقوله تعالى: ﴿ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾ [8]،أي عقول. وفي قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾[9]،عبَّر بالأفواه عن الألسن[10] .

7-اعتبار ما كان : من المشهور في هذا المجاز ذكر الشيء بوصفه الذي كان لتعلّق الغرض بهذا الوصف والتعويل عليه في مغزي العبارة ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ﴾[11] ، فقد ذكرهم بلفظ (اليتامى) وهو يأمر باعطائهم أموالهم وذلك لا يكون إلا بعد الرشد وذهاب اليُتم ، ولكن ذكر الصفة هنا يومئ إلى سرعة إعطائهم الأموال بعد الرشد وذهاب اليُتم من غير مهملة.

8-اعتبار ما يكون :[وهو أن يُسمى الشيء المستعمل باسم ما يؤول إليه في المستقبل] وفي ذلك يُنظر إلى الحال المترقبة والتي يتوقع أن يؤول إليها الشيء فيعبرون بها عنه ، يشيرون بذلك إلى أنه آيل إليها لا محالة . وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [12]

---

[1] فضل حسن عباس، مرجع سابق ، ص154 ، 155، 156

[2] سورة آل عمران ، الآية (107)

[3] سورة الانفطار ، الآية (13)

[4] فضل حسن عباس، مرجع سابق ، ص157

[5] سورة العلق، الآية (17)

[6] سورة الملك ، الآية (1)

[7] سورة يوسف، الآية (82)

[8] سورة الأعراف ، الآية (179)

[9] سورة النور، الآية (15)

[10] السيوطي ، أبو الفضل جلال الدين عبدالرحمن ابن أبي بكر ، الاتقان في علوم القرآن ، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، المملكة العربية السعودية ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،(د.ط) ،1426هـ، ج4 ، ص 1514

[11] سورة النساء، الآية (2)

كَفَّاراً)[1] ، وهم إنما يلدون ولائد طاهرة لا كفر فيها ولا فجور ، لأن الكفر والفجور يقتضيان تهيؤاً ذهنياً وروحياً لم يتوفر منه شيء للوليد ، ولكنه أشار إلى أن الولد منهم سينحو قطعاً منحى أبيه ، وأن هذه الصفات كائنة لمن يصل منهم عمر الاتصاف بها شرعاً [2].

9- الآلية : وهي تسمية الشيء بواسطة الآلة ، كقوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ)[3] ، أي بلغة قومه .

وقوله تعالى (وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ)[4] أي ذكراً جميلاً وثناءً حسناً[5]. فالمجاز في الآيتين في كلمة (لسان) وعلاقته الآلية ؛لأن اللسان هو آلة اللغة.

10- المجاورة : أن يُسمى الشيء باسم ما يجاوره ، كإطلاق اسم الراوِيَة على المَزادة ، والراوية هي الدابة التي تحمل المزادة ، والمزادة : هي القِرَبُ التي يوضع فيها الماء ، فيقولون (خلت الراوية من الماء) ويريدون المزادة .

ومن ذلك قول عنترة*:

فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيابَهُنَّ الكَريمُ على القَنا بِمُحَرَّمِ[6]

أي شككت بالرمح جسمه ، وإنما عبّر بالثياب لمجاورتها القلب ، فالمجاز مرسل علاقته المجاورة[7].

وللمجاز المرسل علاقات كثيرة ، وسوف تقتصر الدراسة على أنواع محددة منها ، وهي الأكثر استخداماً في التعبير الأدبي .

قرينة المجاز المرسل :

عُلِم من مما سبق أن لكل مجاز قرينة تصرف الذهن عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي ، وهي إما قرينة عقلية أي حالية نحو: (أقبل بحر)والسامع يرى رجلاً ،وإما قرينة لفظية نحو: (رأيت بحراً يعظ الناس من فوق المنبر) ، فعبارة (يعظ الناس من فوق المنبر) قرينة لفظية تدل على أن لفظة (بحر)استعملت استعمالاً مجازياً . وتمنع في الوقت ذاته من إرادة المعنى الحقيقي لهذه اللفظة[8] .

---

[1] سورة نوح ، الآية (27)

[2] محمد أبو موسى ،مرجع سابق ، ص357 ، 358

[3] سورة إبراهيم، الآية (4)

[4] سورة الشعراء، الآية (84)

[5] القزويني ، مرجع سابق، ص207

* عنترة (...- نحو 22 ق هـ= ... – نحو 600م) : هو عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي ،من شعراء العصر الجاهلي ، وأشهر فرسان العرب في الجاهلية . من شعراء الطبقة الأولى ، من أهل نجد. كان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، يوصف بالحلم على شدة بطشه، وفي شعره رقة وعذوبة، له ديوان شعر مطبوع. الأعلام 5 /91.

[6] البيت لعنترة في ديوانه ، مرجع سابق ص174 ، البيت في الديوان: (كَمَشَكْتُ بالرُّمْحِ الطَّوِيلِ ثِيَابَهُ)

[7] فضل حسن عباس، مرجع سابق ، ص158 ، 159

[8] عبد العزيز عتيق ، مرجع سابق ، ص156

المزايا البلاغية للمجاز المرسل:

لا يُعدل عن الحقيقة إلى المجاز المرسل إلا لإفادة أسرار متنوعة وتحقيق أغراض بلاغية متعددة أهمها ما يلي :

1- إن المعنى إذا عُبِّر عنه باللفظ الدال علي الحقيقة حصل كمال العلم به من جميع وجوهه، وانه إذا عُبِّر عنه بلفظ المجاز لم تعرف تلك الوجوه على جهة الكمال . فيحصل عن التعبير بالمجاز تشوق إلى تحصيل الكلام. وهذا عامل نفسي لأن في هذا التجوّز استثارة لمكامن الشوق، وجذباً للانتباه ، ووعي ما في النص الأدبي من وجوه الحسن والجمال[1] .

2- الإيجاز ، كما في نحو (رعينا الغيث) ، فهو أوجز من أن يقال :رعينا النبات الذي كان الغيث سبباً في نموّه واخضراره . فقد طوى المسبب وذكر موضعه (السبب).

3- المبالغة فمثلاً في قوله تعالى: (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ)[2]، ذكرت الأصابع في موضع الأنامل مبالغة في تعطيل أسماعهم؛ لشدة خوفهم ونفورهم وإعراضهم عن الحق.

4- يفسح مجال التعبير أمام الأديب أو المتكلم،ليتخيَّر ما يشاء من الألفاظ الملائمة للقافية، و أن يتجنب الألفاظ التي تخلُّ بفصاحة الكلام، فيترك الحقائق، ويستعمل المجازات حتى يسلم تعبيره مما يخل بفصاحته.

5- يعين المتكلم على تحقيق ما يهدف إليه من أغراض كالتعظيم، والتحقير، والتهويل، وغير ذلك، تقول مثلاً : (رأيت العالم) تقصد رأيت طالب العلم الذي سيصير عالماً، فأنت بذلك تعظمه وترفع من شأنه، وتقول: (انظر إلى الجيفة كيف يترك الصلاة، وكيف يطغى ويتكبر)، تريد من سيموت فيصبح جيفة منتنة، فأنت بذلك تُحقره وتضع من شأنه، ومن ذلك قوله تعالى: (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ)[3]. فقد أفادت الآية شدة الهول والرعب والخوف الذي انتابهم، والذي من أجله حاولوا تعطيل أسماعهم بأقصى ما يستطيعون.

6- كما لا يخلو المجاز المرسل من الخيال الذي يحقق الجمال وإمتاع النفس،وإثارة الذهن،عندما تمر بذهن السامع المعاني الحقيقية للألفاظ، التي سرعان ما تتلاشى أمام المعاني المجازية المقصودة ، فيرى النبات والرزق بمختلف صنوفه يتدفق من السماء، وأسنمة الآبال يسعى بها السحاب، وهذا يأكل دماً ، ويمضغه بأسنانه.وذاك يأكل ناراً فتكوى بها أحشاؤه. هذه الصور تخطر في النفس فور سماع جملها، وهي وإن كانت تزول سريعاً أمام المعنى المراد بنصب القرينة إلا أنه بحضورها يتحقق إمتاع النفس، وإثارة الذهن، وتقع المعاني في النفس موقعها[4].

---

[1] بدوي أحمد طبانه ، البيان العربي (دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية) ، القاهرة، مطبعة الرسالة ، ط2، 1377هـ-1958م، ص296

[2] سورة نوح، الآية (7)

[3] سورة البقرة ، الآية (19)

[4] بسيوني عبد الفتاح فيود ، مرجع سابق ، ،ص167، 168

7- قد يكون لفظ المجاز أخف من الحقيقة على اللسان لخفة اللفظ المفرد على اللسان والسمع، أو لخفة وزنه ، أو لسلامته ، وذلك يقتضي السهولة ، فيعدل المتكلّم إلى لفظ المجاز لهذا . ومن أمثلة ذلك إطلاق (العين) على الربيئة ، وهو الرقيب أو [الجاسوس] ، فإن كلمة (العين) أخف من الربيئة على السمع واللسان ، وهي أيضاً أعرف لدى السامع والقارئ من لفظ الربيئة.

8- قد تكون الكلمة المجازية مألوفة الاستعمال ، والحقيقة غريبة أو وحشية ، فيكون لفظ المجاز أخفّ ، ويحصل به من الأنس ما لا يحصل بلفظ الحقيقة[1].

9- الاتساع في المعنى ، وذلك إذا أستعير معنى لشيء أوضح في ذلك المستعار منه ، كوصف الإنسان بالجود والكرم ، فيقال (زارنا بحرٌ اليوم ، وتقصد بذلك أن شخصاً مثل البحر كرماً وجوداً وعطاءً .

10- ما هو خافٍ ، وذلك أن تُعرّف بسجية لشخص لا تتأتى لصاحب النظرة العجلى، فتقول: فلانٌ الجاحظ في بيانه، إذ بيان الجاحظ معروف لذي البلاغة وأهل المعرفة والذوق والأدب .

11- إيراد المعنى في صورة دقيقة مقرّبة إلى الذهن[2].

إلى غير ذلك من الفوائد البلاغية والأسرار واللطائف التي تكمن وراء أساليب المجاز المرسل.

وإذا لم يحقق المجاز غاية من تلك الغايات المذكورة أو غيرها ، ولم يكن له أثر في تقويم اللفظ أو تحسين المعنى ، فلا ينبغي العدول عن الحقيقة إليه[3] .

المجاز المرسل المركب

[1] بدوي أحمد طبانه ، البيان العربي (دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية) مرجع سابق، ص296 ،297

[2] محمد بركات حمدي أبو علي ، مرجع سابق، ص28 ،29

[3] بدوي أحمد طبانه ، البيان العربي (دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية) مرجع سابق،297

كانت الدراسة السابقة عن المجاز المرسل المفرد ، وبقي هناك نوع آخر منه ألا وهو المجاز المرسل المركب .

عرّفه البلاغيون بأنه : "هو الكلام المستعمل في المعنى الذي وُضِع له، لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي" [1].

ويقع في :

أولاً : المركبات الخبرية المستعملة في الإنشاء وعكسه لأغراض كثيرة منها:

أ. التحسّر وإظهار التأسف : نحو قول الشاعر :

ذَهَبَ الصِّبَا وَتَوَلَّتْ فَعَالَأَيُّلِيمُ الصِّبَا وَعَلَى الزَّمَانِ سَلامُ [2]

فإنه وإن كان خبراً في أصل وضعه ، إلا أنه في هذا المقام مستعمل في إنشاء التحسّر والتحزّن على ما فات من الشباب .

ب. إظهار السرور ، نحو : كُتِب اسمي بين الناجحين .

ج. الدعاء :نحو أن تقول : نجَّ اللهمُ مَقصِدَنا ، أيها الوطن لك البقاء[3].

إلى غير ذلك من المقاصد التي يستعمل فيها الخبر ويكون غير مراد به الفائدة ولا لازمها ، والعلاقة في مثل هذا اللازمية إذ يلزم من الإخبار بذهاب الشيء المحبوب كالشباب مثلاً التحسّر عليه ، وهكذا يقال في نظائره ، والقرينة حالية[4].

ثانياً : المركبات الإنشائيةكالأمر والنهي والاستفهام التي خرجت عن معانيها الأصلية واستُعملت في معانٍ أُخر كما في قوله عليه الصلاة والسلام:(لِيَ مُتَعَبَّدًا قَلْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)[5]. والعلاقة في نحو هذا السببية ؛ لأن إنشاء المتكلم للعبارة سبب لإخباره بما تضمنه ، فظاهره أمر ومعناه خبر[6].

المبحـــث الثالث

الاســتعارة

---

[1] أحمد الهاشمي ،مرجع سابق ،ص274 .

[2] البيت لمحمود سامي البارودي في ديوانه، حققه وضبطه وشرحه : علي الجارم – ومحمد شفيق معروف، بيروت ، دار العودة ،د.ط، 1998م، ص537

[3] أحمد الهاشمي ،مرجع سابق ،ص274 .

[4] أحمد مصطفى المراغي ،مرجع سابق ،ص286 .

[5] رواه مسلم ، في مقدمة الإمام مسلم ، باب في التحذير من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حديث رقم4 ج1،ص5. عَنْ الْحَبِيبِ هُرَيْرَةَ .

[6] أحمد الهاشمي ،مرجع سابق،ص274 .

الاستعارة لغةً :

الاستعارة مشتقة من (العاريّة) وهي نقل الشيء من شخص إلى آخر.

العرب : "العارية والمعارة: ما تداولوه بينهم . وقد أعاره الشيء وأعاره منه ، وعاوره إيَّاه وتعاوروه: أخذه منه ومنه. والتعاور والتَّعاور: المداولة، والتَّداول في الشيء يكون بين اثنين. وتعاوروا: تعاوروا العارية . واستعاره الشيء: طلب منه أن يعيره إيَّاه"[1].

ويؤكد هذا المعنى اللغوي ابن الأثير، حيث يقول:" إذ ما سمّي هذا القسم من الكلام استعارة لأنّ الأصل في الاستعارة المجازيّة مأخوذ من العارية الحقيقيّة التي هي ضرب من المعاملة وهي أن يستعير الناس من بعضهم شيئاً من الأشياء. ولا يقع ذلك إلاّ من شخصين بينهما سبب معرفةٌ ، وهذا الحكم جارٍ في استعارة الألفاظ بعضها من بعض. فالمشاركة بين اللّفظين في نقل المعنى من أحدهما إلى الآخر كالمعرفة بين الشّخصين في نقل الشيء المستعار من أحدهما إلى الآخر"[2].

الاستعارة اصطلاحاً :

للاستعارة تعريفات كثيرة ، قد تختلف في اللفظ والتعبير، لكنها تتحد في المعنى والمدلول منها:

عرّفها القاضي الجرجاني بقوله:هي "ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها وملاكها تقريب شأنه، ومناسبة المستعار له للمستعار منه وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر"[3] .

و عرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله:"الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُ الشواهد على أنه اختُص به حين وُضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل ، وينقله إليه نقلاً غير لازم، فيكون هناك كالعاريَّة[4]".

و هي عند السكاكي "أحد طرفي التشبيه وتريد الطّرف الآخر مدّعياً دخول المشبّه في جنس المشبّه به دالاً على ذلك بإثباتك للمشبّه ما يخصّ المشبّه به)[5].

وعرفها ابن الأثير بقوله : الاستعارة نقل المعنى من لفظٍ إلى لفظٍ لمشاركةٍ بينهما ، مع طيّ ذكر المنقول إليه[6] .

أما القزويني ، فالاستعارة عنده الضرب الثاني من المجاز " وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له" [1] .

---

[1] ابن منظور ، مادة (عور) ،مج4 ، ص711

[2] ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،مرجع سابق، ج2 ، ص 77

[3] القاضي الجرجاني، علي بن عبد العزيز ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ،تحقيق وشرح:محمد أبو الفضل إبراهيم-علي محمد البجاوي، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط، 1966م، ص41

[4] الجرجاني ،أسرار البلاغة، مرجع سابق ، ص 30

[5] السكاكي، مرجع سابق ، ص 369

[6] ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،مرجع سابق، ج2، ص83

وقد عرفها البلاغيون المتأخرون تعريفاً جامعاً فقالوا:

" الاستعارة هى استعمال اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه، والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي"[2]. وهذا التعريف هو المشهور الآن .

ومن كل التعريفات السابقة تتجلى الحقائق التالية بالنسبة للاستعارة:

1- الاستعارة ضرب من المجاز اللغوي علاقته المشابهة دائماً بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي.

2- وهي في حقيقتها تشبيه حذف أحد طرفيه.

3- تطلق الاستعارة على استعمال اسم المشبّه به في المشبّه، فيسمى المشبّه بهمستعاراً منه، والمشبه مستعاراً له، واللفظ مستعاراً .

1- وقرينة الاستعارة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي قد تكون لفظية أو حالية[3].

أركان الأستعارة :

للاستعارة ثلاثة أركان أساسيّة وهي :

1- المستعار منه: وهو المشبّه به.
2- المستعار له: وهو المشبّه .
3- المستعار: وهو اللفظ المنقول .

ويسمى الأول والثاني بطرفي الاستعارة ،ففي قوله تعالى:(الرَّأْسُ شَيْباً)[4].المستعار هو (اشتعل)، والمستعار منه هو (النار)، والمستعار له هو (الشيب). والجامع بين المستعار منه والمستعار له مشابهة ضوء النَّار لبياض الشيب[5].

ولابُد في الاستعارة من عدم ذكر وجه الشبه، و لا أداة التشبيه، بل ولابُد أيضاً من تناسي التشبيه الذي من أجله وقعت الاستعارة فقط، مع ادعاء أن المشبه عين المشبه به .أو ادعاء أن المشبه فرد من أفراد المشبه به الكلي[6].

قرينة الاستعارة:

قرينة الاستعارة إما معنى واحد؛كقولك: "رأيت أسداً يرمي"، أو أكثر؛ كقول بعض العرب:

---

[1] االقزويني، مرجع سابق، ص 212

[2] أحمد الهاشمي،مرجع سابق ، ص258

[3] عبد العزيز عتيق، مرجع سابق ،ص 175

[4] سورة مريم ، الآية (4)

[5] . أحمد مطلوب ،مرجع سابق، ص128

[6] أحمد الهاشمي، مرجع سابق ، ص258

فإن تعافوا[1] العدل والإيمانا فإنّ في أيمانها أمانا[2]

أي: سيوفاً تلمع كأنها شعل نيران .

فقوله: "تعافوا" باعتبار كل واحد من تعلقه بالعدل وتعلقه بالإيمان قرينة لذلك؛ لدلالته على أن جوابه أنهم يحاربون ويُقسرون على الطاعة بالسيف.

أو معانٍ مربوط بعضها ببعض، كما في قول البحتري:

وصاعقةٍ من نصلهِ في أرؤسِ الأقرانِ خمسُ سحائبِ[3]

عنى بـ "خمس سحائب": أنامل الممدوح؛ فذكر أن هناك صاعقة، ثم قال: "من نصله "فبين أنها من نصل سيفه، ثم قال: "على أرؤس الأقران" ثم قال: "خمس"، فذكر عدد أصابع اليد؛ فبان من مجموع ذلك غرضه[4].

أقسام الاستعارة :

الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع :

تنقسم الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع (وجه الشبه) إلى الأقسام الآتية :

أولاً : استعارة محسوس لمحسوس بوجه حسي :

وذلك إذا كان طرفا الاستعارة محسوسين والجامع حسياً . وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾[5]، فإن المستعار منه حركة الماء (الموج) على الوجه المخصوص ، والمستعار له حركة الإنس والجن، أو يأجوج ومأجوج ، وهما حسيان والجامع لهما ما يشاهد من شدة الحركة الاضطراب وهو أيضاً حسي[6] .

ثانياً : استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي:

وذلك إذا كان طرفا الاستعارة محسوسين والجامع عقلياً ، كقوله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾[7] فإن المستعار منه كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها، والمستعار له إزالة الضوء عن مكان الليل وملقى ظله، وهما حسيان، والجامع لهما ما يعقل من ترتب أمر على آخر.

ثالثاً : استعارة محسوس لمحسوس بما بعضه حسي وبعضه عقلي:

---

[1] تعافوا : أي تكرهوا

[2] ذكره :إبراهيم محمد بن عربشاه عصام الدين الحنفي (ت 943هـ) ،في : الأطول – شرح تلخيص مفتاح العلوم ، حققه وعلّق عليه: عبد الحميد هنداوي ، بيروت : منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1422 هـ - 2001م ، ص87 .وذكره أيضاً ابن منظور في لسان العرب،مرجع سابق ، (مادة عيف)، ج9، ص311.والبيت بلا نسبة .

[3] البحتري ، مرجع سابق، ج1، ص 154

[4] أحمد مطلوب ،مرجع سابق ،ص128 ، 129

[5] سورة الكهف ، الآية (99)

[6] القزويني ، مرجع سابق ، ص224 ،225

[7] سورة يس، الآية (37)

مثال ذلك:(رأيت ُ شمساً) ، وأنت تريد إنساناً شبيهاً بالشمس في حسن الطلعة ونباهة الشأن.

رابعاً : استعارة معقول لمعقول بوجه عقلي:

وذلك إذا كان الطرفان عقليين ولا يكون الجامع إلا عقلياً . نحو قوله تعالى (وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا)[1] ، فإن المستعار منه الرقاد والمستعار له الموت، والجامع لهما عدم ظهور الأفعال ،ويلاحظ أن الجميع عقلي .

خامساً : استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلي :

وهذا إذا كان المستعار حسياً والمستعار له عقلياً ، ويكونالجامع أيضاً عقلياً. نحو قوله تعالى (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)[2] ، فإن المستعار منه صدع الزجاجة وهو كسرها وهو حسي ، والمستعار له تبليغ الرسالة ، والجامع لهما التأثير وهما عقليان، كأنه قيل ابن الأمر إبانة لا تتمحي كما لا يلتئم صدع الزجاجة[3].

سادساً : استعارة معقول لمحسوس بوجه عقلي :

وذلك إذا كان المستعار عقلياً والمستعار له حسياً ، ويكون الجامع عقلياً. كقوله تعالى (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ)[4] فإن المستعار له كثرة الماء وهو حسي ، والمستعار منه التكبُّر وهو عقلي ، والجامع الاستعلاء المفرط وهو أيضاً عقلي[5] .

تنقسم الاستعارة باعتبارما يُذكر من الطرفين إلى قسمين :

أ- الاستعارة التصريحية :

هي ما صرح فيها بذكر لفظ المشبه به (المستعار منه)، وحذف لفظ المشبه (المستعار له)، وتسمى تصريحية لأننا تناسينا المشبه وادعينا أن المشبه به هو المشبه وصرحنا به ، وذلك كقولنا في قوله تعالى: (لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)[6]، فقد شبه الكفر بالظلمات والإيمان بالنور، [بجامع عدم الهداية في الأول، ووجود الهداية في الثاني]،وحذف المشبه(الكفر والإيمان) وصرح بالمشبه به (الظلمات والنور).وسمي هذا النوع بالاستعارة التصريحية

---

[1] سورة يس، الآية (52)

[2] سورة الحجر، الآية (94)

[3] القزويني ، مرجع سابق ، ص225

[4] سورة الحاقة، الآية (11)

[5] القزويني ، مرجع سابق ، ص226

[6] سورة إبراهيم، الآية (1)

لأننا حذفنا فيها المشبه وصرحنا بالمشبه به . ولابد من وجود قرينة تمنع إرادة المعنى الحقيقي ، وهي هنا حالية تفهم من سياق الكلام[1] .

ومثالها من الشعر قول ابن المعتز :

جُمِعَ الحقُّ لنا في إمامٍ قتلَ البخلَ وأحيا السماحا[2]

في البيت استعارتان الأولى منهما في (قتل البخل) حيث شبّه تجنب كل مظاهر البخل، و هو المشبه، بالقتل، و هو المشبه به، بجامع الزوال في كل، و القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي هي لفظة (البخل) ولأن للمشبّه به و هو (القتل) صرّح به تسمى هذه الاستعارة (تصريحية).

والاستعارة الثانية في البيت هي (أحيا السماحا) حيث شبّه تجديد وانبعاث ما اندثر من عادة الكرم، وهو المشبه، بالإحياء، وهو المشبه به، بجامع الإيجاد بعد العدم في كل، والقرينة هنا لفظية وهي (السماحا). ولأن المشبه به (الإحياء) صرّح به فالاستعارة (تصريحية)[3].

ب- الاستعارة المكنية :

وهي ما ذكر فيها لفظ المشبه وحذف منها لفظ المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، أو خاطبته من خلفه كقوله تعالى: (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا)[4]. فقد شبه الذل بطائر، واستعار لفظ المشبه به وهو (الطائر) للمشبه وهو (الذل)، ثم حذف المشبه به (الطائر) ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الجناح[5]، على سبيل الاستعارة المكنية .

ومنها قوله تعالى: (الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ)[6] حيث شبه العهد بالحبل [لما فيه من ارتباط أحد كلامي المتعاهدين بالآخر]، وحذف المشبه به (الحبل) ورمز له بشي من لوازمه وهو النقض ، على سبيل الاستعارة المكنية.

قال الزمخشري[7] " النقض : هو الفسخ وفك التركيب، فإن قلت: من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد؟ قلت: من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة ، لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ... وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه ، فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه . ونحو قولك :

---

[1] محمد مصطفى هدَّارة، في البلاغة العربية (علم البيان) ، بيروت-لبنان، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، ط1، 1409هـ-1989م، ص69

[2] ابن المعتز ،مرجع سابق، ص141

[3] عبد العزيز عتيق،مرجع سابق، ص179، 180

[4] سورة الإسراء، الآية (24)

[5] محمد مصطفى هدَّارة ، مرجع سابق،ص70

[6] البقرة ، الآية (27)

[7] تم توثيقه

شجاع يفترس أقرانه، وعالم يغترف منه الناس ،وإذا تزوجت امرأة فاستوثرها ، لم تقل هذا إلا وقد نبهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر ، وعلى المرأة بأنها فراش"[1].

ويلاحظ أن في الاستعارة التصريحية يحذف المشبه ، وفي الاستعارة المكنية يحذف المشبه به ويرمز له بشيء من لوازمه ، ولهذا صح قول البلاغيين في الاستعارة إنها تشبيه حذف أحد طرفيه[2].

وتَفْضُلُ الاستعارة المكنية التصريحية في أنها تبعث الحياة والحركة في الأشياء ، فهي يغظة، تخاطِب وتتكلَّم، وتفعل، وتتحرك. ولكن ليس هذا تقليلاً من شأن الاستعارة التصريحية، فإن في الاستعارة التصريحية صوراً للمعاني الذهنية الفكرية المجردة ، تجسَّدت فكانت توجيهات حية في مجالات الحياة جميعها. كما أن لكل أسلوب من أساليب الاستعارتين مسوغاته، وسياقه ، وعناصره المؤثرة الجميلة[3].

وتنقسم أيضاً إلى تحقيقية وتخييلية:

التحقيقية :هي ما كان المستعار له فيها محققاً حساً أو عقلاً ، بأن كان اللفظ منقولاً إلى أمر معلوم يمكن الإشارة إليه إشارة حسية أو عقلية ، فالأول كقول الشاعر:

لَدَى أَسَدٍ شاكي السِّلاحِ مُقَذَّفٍ لَهُ لَبَدٌ أَظْفارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ[4]

فالمستعارله في البيت (الرجل الشجاع) وهو محقق حسّاً .

ونحو قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[5] المستعار له في الآية هو (مِلَّة الإسلام) ؛ أي الأحكام الشرعية ، وهي محققة عقلاً[6] .

فالتحقيقية إذن لها تحقق في الواقع ولها وجود خارجي .

التخييلية : هي مكان المستعار له فيها غير محقق لا حسّاً ولا عقلاً ، بل يكون صورة وهمية محضة لا يشوبها شيء من التحقق بقسميه[7]. كلفظ (أظفار) في قول الشاعر :

وإذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفارَها أَلْفَيْتَ كلَّ تَميمَةٍ لا تنفع[8]

---

[1] الزمخشري، مرجع سابق ،ص68

[2] محمد مصطفى هدَّارة ، مرجع سابق ،ص70

[3] فضل حسن عباس، مرجع سابق ، ص185

[4] البيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه،شرحه وقدّم له:علي حسن فاعور،بيروت ،دار الكتب العلمية،ط1408،1هـ-1988م،ص108. ومعنى :شاكي السلاح تام السلاح . المقذف: الغليظ الكثير اللحم ، وقيل الذي يقذف نفسه في الحروب. اللبد: الواحدة لِبدة :أي الشعر المتراكب بين كتفي الأسد. لم تقلّم : يريد أنه لا يعتريه ضعف ولا يعيبه عدم شوكة.

[5] سورة الفاتحة ، الآية (6)

[6] بدوي أحمد طبانه ، البيان العربي (دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية) مرجع سابق، ، ص311

[7] نفس المرجع السابق ، ص311 ،312

[8] تم توثيقه

فقد شبه المنية بالسبع أو [الحيوان المفترس] بجامع الاغتيال في كل ٍ ، واستعار السبع للمنية وحذفه ، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (الأظفار) على طريق الاستعارة المكنية ، وقرينتها لفظة (أظفار). ثم أخذ الوهم ُ في تصوير المنية بصورة السبع ، فاخترع لها مثل صورة الأظفار، ثم أطلق على الصورة التي هي مثل صورة الأظفار لفظ (الأظفار).

فتكون لفظة (أظفار) استعارة تخييلية ، لأن المستعار له لفظ (أظفار) صورة وهمية شبيهة بصورة الأظفار الحقيقية ، وقرينتها إضافتها إلى المنية[1] .

ومن ذلك أيضاً قول لبيد يفتخر بأنه يطعم الناس ويوقد لهم النار ليمنع عنهم عادية البرد :

وغَداةِ ريحٍ قد كَشَفْتُ وقِرَّةٍ[2] بَحَتْ بيَدِ الشَّمالِ زِمامُها[3]

الاستعارة في هذا البيت مكنية ، فقد جعل للشمال يداً وللقِرَّة زماماً ، بأن شبه الشمال في تصريفها القوة والتحكُّم في طبيعتها بالإنسان الذي يتصرَّف في الأمور، وشبه القرة بالبعير بجامع الانقياد للغير ، ثم تناسى التشبيه وأدعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، ثم أثبت لازم المشبه به وهو اليد والزمام للمشبه . وفيها من المبالغة ما لايخفى على أحد ؛ بأن جعل الريح تتصرّف تصرُّف الإنسان القادر ، وجعل القرة تنقاد لها انقياد البعير المذلل[4].

ويعلِّق عبد القاهر الجرجاني على هذه الاستعارة بقوله: "كل ذلك لا يتعدى التخيّل والوَهْم والتقدير في النفس من غير أن يكون هناك شيء يُحسُّ ، وذاتٌ تتحصَّل.. وأنك إذا رجعت إلى التشبيه الذي هو المغزى من كل استعارة تفيد وجدته [في هذا البيت] لأتيك عفواً وإنما يتراءى لك بعد أن تخرِق إليه ستراً وتُعمِل فيه تأملاً وفكراً "[5]. وكذا الحال في كل استعارة تخييلية .

يرى جمهور البلاغيين أن الاستعارة التخييلية هي قرينة الاستعارة المكنية، فإضافة أو إسناد أحد لوازم المشبه به إلى المشبه يسمى استعارة تخييلية؛ تُخيِّل أن للمنية أظفاراً ، وأن للشمال يداً ، وللقرة زماماً . إذن فكل استعارة مكنية لا بد أن تشتمل على استعارة تخييلية مكنية، فهي مكنية لأنها حُذِف منها المشبه به ، وتخييلية لأنه أُضِيف أو أُسْنِد ما هو من لوازم المشبه به إلى المشبه .

ومن هنا كانت الاستعارة المكنية أبلغ وأكثر تأثيراً في النفس، وأجمل تصويراً ؛ ذلك لأن العمل الإبداعي فيها أدقّ منه في الاستعارة التصريحية ، فهي تُجسِّم المعاني وتبرزها للعيان كشخوص

---

[1] أحمد الهاشمي، مرجع سابق ، ص 261

[2] القرّة : البرد

[3] لبيد بن أبي ربيعة ،مرجع سابق،ص 176والبيت من معلقته المشهورة ، وصدر البيت في الديوان (وغداة ريح قد وزعتُ) .

[4] بسيوني عبد الفتاح فيود ، مرجع سابق ، ص190

[5] أنظر الجرجاني، أسرار البلاغة ، ص46 ، 47

وكائنات حية يصدر عنها كل مايصدر عن الكائنات الحية من حركات وأعمال، وتثير الحركة، وتنمي الخيال، فتضفي جمالاً وهي تضيف إلى الأشياء صفات تزينها وتجملها[1].

تقسيم الاستعارة المصرّحة باعتبار الطرفين إلى وفاقية وعنادية :

أ- الوفاقية :

هي التي يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد . وذلك نحو قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى)[2]. فالمستعار (الاشتراء)، والمستعار له (الاستبدال)،ويمكن اجتماعهما في شخص واحد ، إذ يمكن أن يكون الشخص مشترياً ومستبدلاً معاً [3] .

ب- العنادية:

هي التي لا يمكن أن يجتمع فيها طرفاها معاً . وذلك نحو قوله تعالى: (كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ)[4]. فالمستعار هنا (ميتاً) والمستعار له (الضلال) والموت والضلال لا يجتمعان في شيء واحد ، لأن الضلال وصف للشخص في حال حياته فقط .

وفي الآية استعارة أخرى وفاقية ، إذا أن المستعار (الإحياء) والمستعار له (الهداية والإيمان) ومن الممكن أن يجتمع هذان الوصفان في شخص واحد[5] .

ومن الاستعارة العنادية حديثك عن الشيء بضد ما تذكر ، أي أن تذكر شيئاً ولكنك تريد ضده ، وهذا قد يكون على سبيل التَّملُّح ؛ أي التَّفكُّه والتَّذَدُّر ، كأن تقول : (رأيت حاتماً) وتريد بخيلاً ، و(رأيت أسداً) وتريد جباناً ، قاصداً التهكُّم ، ونحو قوله تعالى: (فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)[6] ، ومن المعروف أن البشارة تكون في الخير ، وقد ذُكِرت في الآية الكريمة على سبيل التهكُّم والسُّخرية،[7] لأنها ذُكِرت مع العذاب، ولا بشارة معه .

تقسيم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار إلى أصلية وتبعية :

1-الاستعارة الأصلية :

هي ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس، يدل على واحد غير معين من جنسه ، سواء كان اسم عين ، كالأسد، والثعلب، والبحر، والغيث ، والسهم . أو اسم معنى وهو من المصادر كالقتل والنوم واليقظة . ويدخل في الاستعارة الأصلية ، اسماء الأعلام التي اشتهرت بصفة معينة لأنها صارت لشهرتها بالصفة كاسم الجنس بالتأويل نحو : (حاتم) الذي اشتهر بصفة الكرم ،

---

[1] فضل حسن عباس، مرجع سابق(بتصرّف) ، ص181

[2] سورة البقرة، الآية (16) .

[3] فضل حسن عباس، مرجع سابق ، ص174

[4] سورة الأنعام، الآية (122) .

[5] فضل حسن عباس، مرجع سابق ، ص174

[6] سورة الإنشقاق، الآية (24)

[7] فضل حسن عباس، مرجع سابق ، ص175

فصحَّ استعارته لكل رجل كريم لأن شهرته بالكرم جعلته كالموضوع لمطلق ذات متصفة بالكرم ، فصار بهذه الشهرة اسم جنس تأويلاً .

تقول في استعارة اسم الذات : (أسود المعركة) ، أي الشجعان ، و(بحور العلم) ، أي العلماء، وتقول في استعارة اسم المعنى: (سباحة الفكر)، أي تنقله في أمور شتى، و(نوم العقل) أي توقفه عن التفكير[1] .

ومنها قول أبي تمام في الرثاء:

فتى كُلَّما فَاضَتْ عُيونُ قبيلةٍ ماً ضَحِكَتْ عنهُ الليالي والذّكُرُ [2]

حيث استعار (الدم) للدموع التي تفيض من العيون ، وتفيد هذه الاستعارة فداحة الخطب وشِدَّة ما حلَّ بالقبيلة ، فقد فاضت عيونها دماء لا دموعاً ، من هول الموقف، وهذا بالتالي يدل على عِظَم الممدوح الذي يبدّد تلك الأحوال ويغيرها بكرمه وشجاعته إلى أمن وسرور[3] .

الاستعارة التبعية :

هي ما كان اللفظ المستعار فيها فعلاً أو اسماً مشتقاً أو حرفاً .

الاستعارة التبعية في الفعل :

تأتي الاستعارة التبعية في الفعل على نحو قولك: (نطقت الحال بكذا) ، و(طار فلان إلى المعركة) ، و(نام عقل فلان). والمراد (دلَّت الحال ، وأسرع فلان ، وغفل عقله وتوقف عن الفهم) ويقال في اجراء الاستعارة الأولى: شُبِهت الدلالة الواضحة بالنطق في إيضاح المعنى . ثم استعير النطق للدلالة الواضحة ، ثم اشتق من النطق : نطق ، بمعنى (دلَّ) على سبيل الاستعارة التبعية . وكذا القول في (طار ، و نام)[4].

ومثالها من القرآن الكريم قوله تعالى: (**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ**) [5]، في الآية استعارة تصريحية ، حيث شبه انتهاء الغضب عن موسى عليه السلام (بالسكوت) بجامع الهدوء في كل ، ثم استعير اللفظ الدال على المشبه به وهو (السكوت) للمشبه وهو (انتهاء الغضب) ثم أُشتقَّ من (السكوت) بمعنى انتهاء الغضب (سكت) الفعل ، بمعنى انتهى[6] .

ومثال الاستعارة التبعية من الشعر قول البحتري يصف قصراً :

---

[1] بسيوني عبد الفتاح فيوّد ، مرجع سابق ، ،ص194 ، 195

[2] أبو تمام ، مرجع سابق، ج2، ص218

[3] بسيوني عبد الفتاح فيوّد ، مرجع سابق ، ، ص195

[4] نفس المرجع السابق ، ص196

[5] سورة الأعراف، الآية (154)

[6] عبد العزيز عتيق ، مرجع سابق ، ص183

ئت ْ جَ وَ اذِبُهُ الفَضَ اءَ ، وَ عَ اذَقَتْ شُ رُ فَاتُهُ قِطَعَ اللبسِّ المُ مطْ رِ [1]

في البيت استعارة تصريحية ، حيث شبهت الملامسة (بالمعانقة) بجامع الاتصال في كلٍ ، ثم أستعير اللفظ الدال على المشبه به وهو (المعانقة) للمشبه وهو (الملامسة)، ثم أُشتق من (المعانقة) بمعنى (الملامسة) الفعل (عانقت) بمعنى لامست . والقرينة لفظية وهي (شرفاته) .

وبالرجوع للمثالين السابقين نرى أن الاستعارة في الآية يمكن أن تكون مكنية إذا شبهنا الغضب بإنسان ، ثم حذفنا المشبه به (الإنسان) ورمزنا إليه بشئ من لوازمه وهو (سكت) على سبيل الاستعارة المكنية. وكذلك الحال بيت الشعر إذا شبهنا الشرفات بإنسان. وهذا يقود إلى حقيقة مهمة وهي أن كل استعارة (تبعية) يصح أن يكون قرينتها استعارة مكنية، غير أنه لا يجوز إجراء الاستعارة إلا في واحدة منهما لا في كلتيهما معاً [2].

الاستعارة في المشتقات[3]:

من مجيئ الاستعارة التبعية في اسم الفاعل أن تقول: (تركته لهادم اللذات) أي مُذْهِبُها، وهو الموت . فكلمة (هادم) استعارة ؛ حيث شُبِّه (الإذهاب) (بالهدم) ، بجامع الإزالة في كلٍ ، وبعد التناسي والادعاء أُستعير اللفظ الدال على المشبه به (الهَدْم) للمشبه (الإذهاب) ، ثم أستعير (هادم) لـ (مذهب) تبعاً لاستعارة المصدر للمصدر على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية[4].

في اسم المفعول كقولك " رأيت حَصِيداً سَيْفُكَ " أي مَحْصُوداه على معنى (مقتوله) . ففي قولك "حصيد" استعارة ، حيث شُبِّه القتل بالحصد ، بجامع الاستئصال والإبادة في كلٍّ ، وبعد التناسي والادعاء أُستعير اللفظ الدال على المشبه به (الحصد) للمشبه (القتل) ، ثم استعير لفظ حصيد بمعنى محصود لـ (قتيل) بمعنى مقتول على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. قول النبي صلى الله عليه وسلم (وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ في النَّارِ على وجوهِهِم أو على مَناخِرِهِم إلاَّ حَصائدُ ألسنتِهِم)[5] ، أي محصودات ألسنتهم[6] .

ومن مجيئها اسم تفضيل كقولك : (هذا أقتل من فلان) ، أي أشد ضرباً . ومجيئها اسم آلة نحو قولك لمن أراد أمراً من إنسان ما : (مفتاحه فلان) ،تعني صديقاً له مثلاً . حيث شبهت الصداقة بالفتح بجامع الوصول للغاية في كلٍّ ، ثم أستعير من الفتح (مفتاح) وهو اسم آلة . ومن مجيئها قال الله تعالى: (مَا هَذَا مِنْ مَرْقَدِنَا) وقوله تعالى: (هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ

---

[1] البحتري، مرجع سابق،ج1، ص581

[2] عبد العزيز عتيق، مرجع سابق ، ص184، 185

[3] المشتقات هي : اسم الفاعل ، اسم المفعول ، الصفة المشبهة ، اسما الزمان و المكان ، اسم الآلة ، اسم التفضيل ، صيغ التعجب.

[4] عيسى العاكوب، مرجع سابق ، ص476

[5] رواه الترمزي في السنن، مرجع سابق، كتاب الإيمان،بابها جاء في حُرمة الصلاة،حديث رقم 2616،ص590.والحديث عن معاذ بن جبل.

[6] عيسى العاكوب، مرجع سابق ، ص476 ،477

الْمُرْسَلُونَ)[1]. فإن كلمة (مرقد) في الآية الكريمة يمكن أن تفسر بمكان الرقود وهو القبر ، ويقال في إجراء هذه الاستعارة: شُبِه الموت بالرقاد ، وأُستعير لفظ المشبه به للمشبه وأُشتق من مرقد بمعنى القبر على سبيل الاستعارة التبعية .

ومن مجيئها اسم زمان كقولك : (ياللأسف ما بال أمتنا تعيش في مغرب صِباها ، حبذا لو نشهد مطلَع شمسها) فإن المغرب والمطلع اسما زمان ، والمقصود هنا زمان الضعف والقوة ، فاستعير المشبه به للمشبه ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية[2].

الاستعارة في الحرف :

تأتي الاستعارة التبعية في الحروف أيضاً ، غير أنه لا يُنظر فيها إلى الحرف نفسه، بل يُنظر فيها إلى متعلِّق معنى الحرف ، ومتعلِّق معنى الحرف من المشتقات، ولِتَصوُّر ذلك لا بد من أن تمر بمراحل ثلاث هي : معرفة الحرف ، ومعناه ، ومتعلق هذا المعنى .

ومثال مجيئها في الحرف قوله تعالى حكاية عن حقد فرعون وغيظه وهو يقول للسحرة (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ)[3].

شبّه متعلق معنى (على) بمتعلق معنى (في)، ومعنى (على) الاستعلاء ومعنى (في) الظرفية ، فشبه متعلِّق الاستعلاء بمتعلِّق الظرفية ، أي شبه المستعلي على الشيء بمن هو حالٌّ فيه، بجامع الثبوت ، فشبه المصلوبين وهم علي جذوع النخل بمن هو في هذه الجذوع نفسها.

أما الاستعارة في اسم الإشارة نحو قولك : (هذا حقٌ) ومن المعلوم أن الإشارة تكون للمحسوس ، ولكن في هذا المثال أُستُعير اسم الإشارة من المحسوس للمعقول بجامع تحقق الوجود في كلٍّ منهما على سبيل الاستعارة التبعية[4] .

والجدير بالذكر أن الاستعارة التبعية سميت بهذا الاسم لأنها تابعة لاستعارة أخرى ، إذ هي في المشتقات تابعة لجريانها في المصدر أولاً ، كما أن معاني الحروف جزئية لا تتصور الاستعارة فيها إلا بواسطة كلي مستقل بالمفهومية ليتأتى كونها مشبهاً ومشبهاً بها ، فلا بد من إجراء التشبيه أولاً في متعلِّق معاني الحروف كما ذُكِر سابقاً - ثم تتبعها الاستعارة في المعاني الجزئية .

وكما تكون الاستعارة التصريحية أصلية وتبعية تكون المكنية كذلك[5] .

قرينة الاستعارة التبعية :

قرينة الاستعارة التبعية ترجع في الأعم الأغلب إلى:

---

[1] سورة يس ، الآية (52)

[2] فضل حسن عباس، مرجع سابق ، ص196

[3] سورة طه ، الآية (71)

[4] فضل حسن عباس، مرجع سابق ، ص196 ،197، 198

[5] أحمد مصطفى المراغي، مرجع سابق ، ص 276،277

1- الفاعل : نحو قوله تعالى: (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ)[1] ، فالفاعل (الماء) يدل على أن طغى هنا معناه (كَثُرَ) جاوزت الحد).

2- نائب الفاعل: نحو قوله تعالى: (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ)[2]، فقد دل نائب الفاعل (الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ) على أن (ضُرِبَتْ) استعارة تبعية بمعنى (حُكِم عليهم)؛ لأن الذلة والمسكنة لا تُضربان كما تُضرب الخيمة ، بل يُحكم بهما على المُعاقَب.

3- المفعول : كقول ابن المعتز :

جُمِعَ الحقُّ لنا في إمامٍ قتلَ البخلَ ، وأحيا السماحا[3]

فقد دل المفعولان (البخل) و(السماحا) على أن (قتل) هنا استعارة تبعية بمعنى (أزال)، و(أحيا) استعارة تبعية بمعنى (أكْثَر) .

4- المجرور: فبقوله تعالى: (بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)[4] .فقد دلَّ المجرور (العذاب) على أن (بَشِّرْ) هنا استعارة تبعية لـ (أنْذِرْ) ، لأن التبشير الحقيقي لا يتعلَّق بالعذاب ومن ثمَّ فإن ذِكر العذاب قرينة على أن (بَشِّرْ) استعارة تبعية تهكُّمية[5] .

الاستعارة التمثيلية (المجاز المركب):

تنقسم الاستعارة من حيث الإفراد والتركيب إلى مفردة ومركبة. فالمفردة هي ما كان المستعار فيها لفظاً مفرداً كما هو الشأن في الاستعارة التصريحية والمكنية، أمّا المركبة فهي ما كان المستعار فيها تركيباً ، وهذا النوع من الاستعارة يطلق عليه البلاغيون اسم (الاستعارة التمثيلية)[6].

وتسمى أيضاً المجاز المركب ، ويعرفها القزويني بقوله :

"وأما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شُبِّه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل، للمبالغة في التشبيه، أي تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بالأخرى، ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها، مبالغة في التشبيه فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه"[7] .

أما تعريفها عند أكثر البلاغيين هو أنها: " تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي" [8].

---

[1] سورة الحاقة، الآية (11)

[2] سورة البقرة ، الآية (61)

[3] تم توثيقه

[4] سورة آل عمران ، الآية (21)

[5] عيسى العاكوب، مرجع سابق ، ص481

[6] عبد العزيز عتيق ، مرجع سابق ، ص192

[7] القزويني ،مرجع سابق ، ص231

[8] عبد العزيز عتيق ، مرجع سابق ، ص192

ومن أمثلتها قول المتنبي:

ومَنْ يَكُ ذا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدْ مُرّاً بِهِ المَاءَ الزُّلالا[1]

هذا البيت يقال لمن لم يرزق الذوق لفهم الشعر الرائع ، ومعناه الحقيقي أنّ المريض الذي يصاب بمرارة في فمه إذا شرب الماء العذب وجده مُرّاً . ولكن المتنبي لم يستعمله في هذا المعنى ، بل استعمله فيمن يعيبون شعره لعيب في ذوقهم الشعري، وضعف في إدراكهم الأدبي، فهذا التركيب مجاز قرينته حالية، وعلاقته المشابهة، والمشبه هنا حال المولعين بذمه، والمشبه به حال المريض الذي يجد الماء الزلال مراً في فمه. فشبهت حال من يعيبون شعر المتنبي لعيب في ذوقهم الشعري بحال المريض الذي يجد الماء العذب الزلال مُراً في فمه بجامع السّقم في كلّ منهما، ثمّ استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية. والقرينة التي تمنع من إرادة المعنى الأصلي قرينة حالية تفهم من سياق الكلام[2].

ومنها قول المتنبي أيضاً :

وَمَنْ يَجعَلِ الضرغامَ بازاً لِصَيدِهِ يَدَهُ الضرغامُ فيما تَصَيَّدا[3]

وهذا يقال مثلاً للتاجر الذي اختار مشرفاً غير أمين على متجره فنهبه واغتاله، والمعنى الحقيقي للبيت أنّ من اتّخذ الأسد وسيلة للصيد افترسه الأسد في جملة ما افترس. والمتنبي لم يستعمل البيت في هذا المعنى الحقيقي، وإنّما استعمله مجازياً للتاجر اختار مشرفا على متجره فنهبه واغتاله، لعلاقة مشابهة بين الحالين، ولقرينة تمنع من إرادة المعنى الحقيقي.

وعلى هذا يكون البيت بتركيبه قد اشتمل على استعارة يقال في إجرائها: شبهت حال التاجر اختار مشرفاً على متجره فنهبه واغتاله بحال من اتّخذ الأسد وسيلة للصيد فافترسه في جملة ما افترس من الصيد، بجامع سوء البصر بما يستخدم ورجاء الخير مما طبع على الشر. ثمّ استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التمثيلية. والقرينة هنا حالية تفهم من سياق الكلام[4].

ومتى اشتهرت الاستعارة التمثيلية وكثر استعمالها صارت مثلاً ، والأمثال لا تتغير، فلا يلتفت فيها إلى مضاربها ، إفراداً أو تثنيةً وجمعاً ، وتذكيراً وتأنيثاً ، بل يشبه المثل بمورده [أي تشبه الحالة التي ضرب لها بالحالة التي قيل فيها أول مرة]، فينقل لفظه كما هو بلا تَصرُّف[5].

فإذا لم يحسن الإنسان عمله، ولقي من جراء ذلك ضرراً [نتيجة لسوء فعله]، قيل له " يداك أوْكَتَا وَفُوكَ نَفَخ". والوكاء: الربط ، وهذه الجملة قيلت أول مرة لرجل ملأ قِربته من الماء، وبعد أن

---

[1] المتنبي ، مرجع سابق، ص 141

[2] عبد العزيز عتيق ،مرجع سابق ، ص193

[3] المتنبي ، مرجع سابق، ص 372 . وصدر البيت في الديوان (وَمَنْ يَجعَلِ الضرغامَ بازاً لِصَيدِهِ)

[4] عبد العزيز عتيق،مرجع سابق ، ص195

[5] بدوي أحمد طبانه ، البيان العربي (دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية) ،مرجع سابق، ص316

نفخها وربطها لم يحسن ربطها ، فلما رفعها حُلَّ رباطُها ، وسقطت من يده ، فابتغى المساعدة من بعض الناس ، فقيل له : " يداك أوكَتَا وفُوكَ نَفَخ" ؛ أي يداك ربطتا القربة ، وفمك نفخها ، فأصبح مثلاً يُضرب لكل من تشبه حالته حالة ذلك الشخص .

ومن الاستعارات التمثيلية قولهم لمن يحاول شيئاً لا يستطيعه لعدم قدرته عليه:" تبتَغي الصيد في عريسة الأسد" ، وعريسة الأسد: مكانه ، ومنها أيضاً أن يقال: " فلان يرقم على الماء "، و"وينفخ في غير فحم" ، و" ويضرب في حديد بارد" لمن يعمل العمل لا طائل تحته ولا يُرجَى منه خير .

ومن الاستعارة التمثيلية أيضاً قولهم:" قبل الرِّماء تُملأ الكنائن" والكنانة هي ما توضع فيها السهام ، فقد شبهوا حال الذي يريد عملاً قبل أن يعد له عدته ، بحال الذي يريد الرمي قبل أن يملأ كنانته بالسهام[1].

تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع :

تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع - وهو الوجه الذي يقصد اشتراك الطرفين فيه- إلى قسمين:

1/ ما يكون الجامع فيهما داخلاً في مفهوم الطرفين كاستعارة التقطيع لتفريق الجماعة وإبعاد بعضهم عن بعض في قوله تعالى:(وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا)[2].

فإن القطع موضوع لإزالة الاتصال بين الأجسام التي بعضها ملتصق ببعض ؛ فالجامع بينهما إزالة الاجتماع التي هي داخلة في مفهومهما ، وهي في القطع أشدُّ[3].

وكاستعارة (النثر) لإسقاط المنهزمين وتفريقهم في قول أبي الطيب :

نَثَرتَهُمُ فَوقَ الأُحَيدِبِ نَثرَةً[4] نَثَرتَ فَوقَ العَروسِ الدَراهِمُ [5]

(النثر) معناه أن تُجمع أشياء في كف أو وعاء ، ثم يقع فعل تتفرَّق معه دفعة من غير ترتيب أو نظام ، وقد استعاره الشاعر لتساقط المنهزمين في الحرب دفعة واحدة وتفرقهم من غير ترتيب ونظام ، ونَسَبَهُ إلى الممدوح لأنه سببه .

2/ ما لا يكون داخلاً في مفهوم الطرفين ، نحو قولك: (رأيت شمساً) تريد إنساناً يتهلل وجهه، فالجامع بينهما التلألُؤ ، وهو غير داخل في مفهومهما[6].

ومفهوم أي شيء هو تعريفه وحقيقته ، فمفهوم الإنسان الحيوان المفكر الناطق، ومفهوم الأسد الحيوان المفترس، ومفهوم المسجد البناء المُعَد لعبادة المسلمين ، وهكذا[7].

---

[1] فضل حسن عباس، مرجع سابق ، ص199، 200

[2] سورة الأعراف ، الآية (168)

[3] القزويني ، مرجع سابق، ص 220 ،221

[4] الأحيدب : اسم جبل .

[5] المتنبي ، مرجع سابق ، ص388وفي الديوان وردت كلمة (كلِّه) بدلاً عن (نثرةً)

[6] القزويني، مرجع سابق ، ص222

[7] فضل حسن عباس، مرجع سابق ، ص203

تنقسم الاستعارة باعتبار الجامع أيضاً إلى :

1-عامية 2- خاصية

1- الاستعارة العامية [المبتذلة] :

هي المتداولة بين المتكلّمين ، القريبة التي يسهُل إدراك "الجامع" فيها على العامة ، كاستعارة اسم (الأسد) للشجاع في قولك: (رأيت أسداً يتقدَّم الأبطال) ، فالجامع هنا هو (الجرأة) وهي أمر ظاهر يدركه العامة[1] .

ومثال ذلك أيضاً استعارة (الثريا) لغُرَّة المهر في قول الشاعر :

وأدْهم يَسْتَمِدُّ الليْلَ مِنْهُ وتطْلُعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثُّريا[2]

فالجامع بين (غرّة المهر الأدهم ، والثريا) هو البياض الناصع الشديد ، وهو أمرٌ ظاهر يلمحه الكثيرون .

2- الخاصية [الغريبة]:

وهي الغريبة التي لايكون الجامع فيها ظاهراً ، ولا يتأتى إدراكه إلا للخاصة الذين أوتوا ذهناً ثاقباً وبصراً في إدراك المعاني . كاستعارة (النور) للبيان والحُجة الكاشفة في الحق في قوله و َاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ)[3]، فالجامع هنا هو حالة نفسية للإنسان تنشأ عن الأمرين (النور والحجة) ، مما يصعب إدراكه[4] .

قال عبد القاهر: " فليس الشبه الحاصل من (النور) في البيان والحجة ونحوهما، إلاّ أنّ القلب إذا وردت عليه الحجَّة صار في حالة شبيهة بحال البصر إذا صادف النور، ووُجِهت طلائعُه نحوه، وجال في مَصارفه وانتشَرَ في المسافة التي يسافر طَرْفُ الإنسان فيها"[5].

ومثال الاستعارة الخاصية من الشعر قول الشاعر:

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا ... لِضَحْكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ[6] [7]

شبّه الشاعر المعروف بالرداء بجامع الستر وصيانة العِرض في كلٍ ، وبعد التناسي والادعاء استعار اسم الرداء (للعطاء) وأضاف إلى الرداء لفظ (غمْر) ليكون قرينة على عدم إرادة المعنى

---

[1] عيسى العاكوب، مرجع سابق ،ص 463

[2] ذكره الثعالبي في يتيمة الدَّهر،ج2، ص462و الجرجاني في اسرار البلاغة ص286،والقزويني في الإيضاح ص 278 .والبيت منسوب لابن نباتة.

[3] سورة الأعراف ، الآية (157)

[4] عيسى العاكوب، مرجع سابق ، ص 464

[5] الجرجاني، أسرار البلاغة ،مرجع سابق ، ص65

[6] غمر :أي كثير - الرداء : مقصود به العطاء خلقت : حصلت للموهوب له ويئس من ردّها واسترجاعها – رقاب المال : أي رقاب الإبل والماشية والأنعام .(يريد أنه لا يجود مثلاً باللبن وحده ،وإنما يجود برقاب المال نفسها)

[7] لبيت لكثيّر عزة في ديوانه ، جمعه: إحسان عباس ، بيروت، لبنان،دار الثقافة ، (د.ط)، 1391هـ- 1971م، ص288

الو َضعي للرداء ، لأن لفظ (غمر) صفة للمال بمعنى (كثير) والاستعارة خاصية؛ لأن الجامع فيها غير ظاهر[1] .

تحو ُّل الاستعارة المبتذلة إلى غريبة :

قد يتصر َّف المتكلِّم في الاستعارة تصر ُّفاً يحولها من الابتذال إلى الغرابة ، وذلك بأن يتضمن الكلام الذي وردت فيه مجازاً آخر ، أو تتعدد الاستعارات ، أو يتعلَّق بها أمر يزيد من المبالغة التي أفادتها ، أو يتوخى في بناء الجمل ونظم الكلام ما يؤدي إلى دقة التصوير وا ٍبراز الخيال"[2] .

ومن ذلك قول الشاعر :

أَخَ ذْنَ ا بِأَطْ رَ افِ الأَحَ ادِيثِ بَيْنَنَ ا وَأَعْ نَ اقِ الْمَ طِ يِّ الأَبَ اطِ حُ [3]

يصف الشاعر المطي بأنها " سارت سيراً حثيثاً في غاية السرعة، وكانت سرعةً في لين وسلاسة ، حتى كأنها كانت سيلاً وقعت في تلك الأباطح فَ جَ رتْ بها"[4] .

ولإجراء هذه الاستعارة يقال : شبّه سير المطي في الأباطح سيراً حثيثاً في لين وسلاسة، بسيلان الماء في هذه الأباطح ، والجامع بينهما هو (السرعة والسهولة) ثم استعار (سيلان الماء) للسير الذي له هذه الصفات ، ثم استعار (سالت) لـ(سارت) تبعاً لاستعارة المصدر للمصدر[5].

وقد وصف عبد القاهر هذا البيت بأنه من الخاصي ّ النادر الذي لايوجد إلا في كلام الفحول ، ولا يقوى عليه أفراد الرجال[6] .

وبيَّن سر جمال هذه الاستعارة العامية القريبة وسر تحولها إلى الغرابة واللطف بقوله:

فالشاعر" لم يُغرِب لأنْ جَعل المطيَّ في سرعة سيرها وسهولته كالماء يجري في الأبطح، فإنَّ هذا شبه معروف ظاهر ، ولكن الدِّقة واللطف في خصوصيةٍ أفادها ، بأن جعل (سال) فعلاً للأباطح ، ثم عدَّاه بالباء بأن أدخل الأعناق في البيت ، فقال: (بأعناق المطي) ولو قال (بالمطي ّ) ولو قال : (سالت المطي في الأباطح) لم يكن شيئاً)"[7].

إذن إسناد الفعل (سالت) إلى (الأباطح) وهو في الأصل إلى (المطي) أفاد أن الأباطح قد امتلأت بالإبل إلى درجة تُخيِّل للرائي أن الأباطح هي التي تسيل ، حتى لكأن كل جزء من الأباطح سائر . وأيضاً قد أُضيف لهذه الاستعارة مجازان عقليان : صريح واضح وهو إسناد فعل السيلان إلى الأباطح ، وهو يُشْعِر بامتلاء الأباطح بأعناق المطي ، ومقدَّر محصَّل من الكلام ، وهو إسناد هذا الفعل إلى الأعناق المُشعِر بسير الأعناق أيضاً ، وذلك لأن الأباطح في سيرها ملابسة لأعناق

---

[1] عيسى العاكوب، مرجع سابق ، ص 464

[2] بسيوني عبد الفتاح فيو ّد ، مرجع سابق ، ص215

[3] البيت لكثير عزة في ديوانه، مرجع سابق، ص525. ، الأباطح: جمع بطحاء، وهي الصحراء

[4] الجرجاني، دلائل الاعجاز ، مرجع سابق، ص74

[5] عيسى العاكوب، مرجع سابق ، ص465

6 أنظر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مرجع سابق ، ص74

[7] نفس المرجع السابق ، ص75 ،76

المطي. وبإضافة هذين المجازين إلى الاستعارة العامية غدت غريبة تحفل بعناصر الروعة والجدة والطرافة [1].

تقسيم الاستعارة باعتبار المُلائم:

تنقسم الاستعارة باعتبار ذكر "ملائم المستعار منه"، أو باعتبار ذكر "ملائم المستعار له" أو "عدم اقترانها بما يُلائم أحدهما" إلى ثلاثة أقسام : مرشحة ، ومجردة ، ومطلقة.

1- المُرشَّحة :هي ما ذُكِر معها ملائم المستعار منه " أي المشبه به" ، نحو قوله تعالى: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾**[2]. حيث أستعير الشراء للاستبدال والاختيار. ثم فرَّع عليها ما يُلائم المستعار منه من الربح والتجارة [3].

وسُمِّيت هذه الاستعارة مرشحة ، لأنها مقرونة بما يبعدها عن الحقيقة ويقوي فيها دعوى الاتحاد بين الطرفين [4].

2- المُجرَّدة :هي ما ذُكِر معها ملائم المستعار له " أي المشبه " ، نحو قول القائل :"رحم الله امرأً ألجم نفسه بإبعادها عن شهواتها " ، فالاستعارة هنا مكنية ؛ فقد شبهت النفس (بجواد) بجامع أن كلاً منهما يُكْبَح، ثم حذف المشبه به (الجواد) ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (ألجم) والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي (إثبات الإلجام للنفس)،وقد اشتملت الاستعارة هنا على شيء يلائم المشبه (النفس)،وهو (إبعادها عن شهواتها)، فالاستعارة مجردة[5].

ومثالها من الشعر قول البحتري :

يُؤَدُّونَ التَّحِيَّةَ من بعيدٍ إلى قمرٍ من الإيوانِ بادِ [6]

استعار (القمر) للإنسان الجميل ، ثم أتى بملائم المستعار له (الإنسان) وهو كونه مُطِلاً من القَصْر، تجريداً للاستعارة ، أي إضعافاً لإدعاء اتحاد الطرفين ، وتذكيراً بأن الأمر لا يعدو المجاز. وسميت هذه الاستعارة مجردة، لتجردها عما يقوي فيها ادعاء الاتحاد بين الطرفين[7].

3- **المطلقة** : هي التي لم تقترن بما يلائم الطرفين (المستعار له والمستعار منه) ، أو التي اقترنت بما يلائمهما معاً .

فمثال التي لم تقترن بما يلائم الطرفين: **﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾**[8]. ففي لفظ (طغى) استعارة تصريحية تبعية ، إذ شبه الزيادة في الماء بالطغيان ، واشتق من المصدر

---

[1] عيسى العاكوب، مرجع سابق ، ص465

[2] سورة البقرة ، الآية (19)

[3] أحمد الهاشمي، مرجع سابق، ، ص272

[4] عيسى العاكوب، مرجع سابق ، ص483 ، 484

[5] عبد العزيز عتيق، مرجع سابق ، ص188 ، 189

[6] البحتري ،مرجع سابق ، ج1، ص387

[7] عيسى العاكوب، مرجع سابق ، ص484

[8] سورة الحاقة، الآية (11)

الفعل (طغى) ، والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي لفظية وهي (الماء) والاستعارة هنا مطلقة لأنها لم تقترن بما يلائم المستعار له ، أو المستعار منه[1] .

ومثال التي اقترنت بما يلائم الطرفين معاً ، قول الشاعر:

رَتْني بِسَهْمٍ رِيشُهُ الكُحْلُ لم يَضِر ظواهِرَ جِلْدِي وهو في القَلْبِ جَارِحِ[2]

فقد استعار (السهم) لنظرة العين ، واستخدم (الريش) وهو مما يلائم المشبه به [وهو الترشيح]، واستخدم (الكحل) وهو مما يلائم المشبه [وهو التجريد] ، فسميت هذه الاستعارة مطلقة[3] ، لاجتماع الترشيح والتجريد فيها.

واجتماع التجريد والترشيح يؤدي إلى تعارضهما ، وسقوطهما ، فكأن الاستعارة لم تقترن بشيء وتكون في رتبة المطلقة .

ولا بد من اعتبار مهم في هذا التقسيم ، وهو أن اعتبار الترشيح والتجريد إنما يكون بعد استيفاء الاستعارة لقرينتها ، سواء أكانت القرينة مقالية (لفظية) أم حالية ، فلا تُعد قرينة المصرحة تجاريولا قرينة المكنية ترشيحاً ، بل الزائد على ما ذُكِر.

والترشيح أبلغ من غيره لاشتماله على تحقيق المبالغة بتناسي التشبيه وادعاء أن المستعار له هو نفس المستعار منه ، لا شيء شبيه به ، وكأن الاستعارة غير موجودة . والإطلاق أبلغ من التجريد ؛ فالتجريد أضعف الجميع ، لأن به تضعف دعوى الاتحاد . ويجري هذا التقسيم في الاستعارتين(التصريحة والمكنية)[4].

محاسن الاستعارة :

يرى السكاكي أن الاستعارة لها شروط في الحسن إن صادفتها حسنت وإلا عريت عن الحسن، وربما اكتسبت قبحاً وتلك الشروط هي:

1- رعاية جهات حسن التشبيه التي سبق ذكرها في الأصل الأول بين المستعار له والمستعار منه بالتصريح التحقيقية والاستعارة بالكناية .

2-وأن لا يُشم منها رائحة التشبيه لفظاً ، ولذلك ينبغي في الاستعارة بالتصريح أن يكون الشبه بين المستعار له والمستعار منه جلياً بنفسه أو معروفاً سائراً بين الأقوام وإلا خرجت الاستعارة عن كونها استعارة ودخلت في باب التعمية والألغاز كما إذا قلت (رأيت عوداً مسقياً أوان الغرس) وأردت إنسانا مؤدباً في صِباه ، أو قلت (رأيت إبلا مائة لا تجد فيها راحلة) وأردت الناس.

---

[1] محمد مصطفى هدَّارة ، مرجع سابق ،ص75، 76

[2] البيت لجميل بثينة في ديوانه ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر،د.ط ، 1402هـ-1982، ص68

[3] محمد مصطفى هدَّارة ، مرجع سابق ،ص75

[4] أحمد الهاشمي ، مرجع سابق ، ص 272 ، 273

3- وأما حسن الاستعارة التخييلية فبحسب حسن الاستعارة بالكناية متى كانت تابعة لها كما في قولك فلان بين أنياب المنية ومخالبها ثم إذا انضم إليها المشاكلة كما في قوله عز اسمه " يد الله فوق أيديهم " كانت أحسن وأحسن[1].

وللتعرف على محاسن الاستعارة يمكن الوقوف على بعض الاستعارات التي استحسنها عبد القاهر وغيره من البلاغيين وأسباب استحسانها :

/" إنَّ من شأنِ الاستعارةِ أنك كلّما زدتَ إرادتَك التشبيهَ إخفاءً ازدادتِ الاستعارةُ حسناً . حتى إنك تراها أغربَ ما تكونُ إذا كان الكلامُ قد ألّف تأليفاً إن أردتَ أن تُفصحَ فيه بالتشبيه خرجتَ إلى شيءٍ تعافُه النفسُ ويلفظُه السَّمعُ . ومثالُ ذلك قولُ ابنِ المعتز:

أَثْمَرَتْ أَغْصَانُ راحَتِهِ لِلْجُنَاةِ عُنَّابَا[2]

ألا ترى أنك لو حملتَ نفسَك على أن تُظهر التشبيهَ وتُفصحَ به احتجتَ إلى أن تقول: (أثمرتْ أصابعُ يدهِ التي هيَ كالأغصان لطالبي الحسنِ شبيهِ العنابِ من أطرافِها المخضوبة) . وهذا ما لا تُخْفَى غَثاثته"[3] .

/ ومما هو أصلٌ في شرفِ الاستعارة أنْ تَرى الشاعرَ جمعَ بين عدَّة استعاراتٍ قصْداً إلى أن يُلحقَ الشَّكلَ بالشَّكْلِ وأن يُتمَّ المعنى والشَّبهَ فيما يُريد. مثاله قولُ امرئِ القيس:

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً ونَاءَ بِكَلْكَلِ[4]

للَّيل صلْباً لمَّا تمطَّى به ثَنّى ذلك فجعلَ لَهُ أعجازاً قد أردفَ بها الصُّلبَ وثلَّث فجعلَ له كلكلاً قد ناءَ به فاستوفَى له جملةَ أركانِ الشَّخص وراعَى ما يراهُ النّاظرُ من سوادِه إذا نظر قُدّامَه وإذا نَظر إلى ما خَلْفَه وإذا رَفَع البصرَ ومَدَّه في عرضِ الجَوِّ "[5].

3/ وللاستعارة المصيبة من الموقع ما ليس للحقيقة فإنْ من قولِه تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[6] أبلغ وأحسن وأدخل مما قصد له من قوله لو قال: " يوم يكشف عن شدة الأمر"، وإن كان المعنيان واحداً ، ألا ترى أنك تقول لمن تحتاج الى الجد في أمره: " شمر عن ساقك فيه ، وأشدد حيازيمك له". فيكون هذا القول منك أوكد في نفسه من قولك: "جد في أمرك"[7].

---

[1] السكاكي ، مرجع سابق ، ص387 ،388

[2] ابن المعتز ، مرجع سابق ص40

[3] الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،مرجع سابق، ص450 ، 451

[4] امرئ القيس ، مرجع سابق ، ص117، وفي رواية الديوان (لما تمطى بجوزه)

[5] الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،مرجع سابق ، ص79

[6] سورة القلم ، الآية (42)

[7] أبو هلال العسكري ،مرجع سابق ، ص295

4/ ومن بديع الاستعارة ما كان بينها وبين ما اُستعيرت له تشابهاً وتناسباً كبيراً ، ومثلها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾[1]. يقول ابن الأثير نقلاً عما ذكره علماء البيان في هذه الآية " أن الشيب لما كان يأخذ في الرأس، ويسعى فيه شيئاً فشيئاً ، حتى يحيله إلى غير لونه الأول، كان بمنزله النار التي تشعل في الجسم وتسري فيه، حتى تحيله إلى غير حاله المتقدمة. وهذا كلام مرضي في بابه، إلا أن هاهنا نكتة أخرى، وذلك إنه شبه انتشار الشيب باشتعال النار في سرعة التهابه، وتعذر تلافيه، وفي عظم الألم في القلب به، ولأنه لم يبق إلا الخمود بعده. فهذه الاستعارة البديعة هي التي تعجز القدرة عن الإتيان بمثلها".

ومن ذلك أيضاً قول بعضهم:

يا طودَ حلم ظَلْتُ معتصماً به يا بحر علم عمتُ في تيّاره[2]

" فإن المناسبة بينها وبين ما استعيرت له شديدة جداً، وذاك أن الحلم أصله في وضع اللغة: التأني والثبات، وترك الإعجال بالعقوبة، فلما كان الطود ثابت الأصل راسخ القواعد، لا يتحرك عن مكانه، ولا يزول من مستقره حسنت استعارته للحلم، للمشابهة التي بينهما. وهاهنا نكتة أخرى، وهو أن قوله: (طود حلم) أبلغ في الاستعارة من أن لو قال (جبل حلم) لأن الطود هو الجبل العظيم، وذلك أرسخ وأرسى أصلاً من غيره. وأما استعارته للعلم بحراً فحسن لا خفاء به .."[3].

ويمكن القول في عجز البيت (يا بحر علم عمتُ في تيّاره)، أنه ولمَّا كان البحر واسعاً كثير الماء ، يزخر بالخير الوفير ، وله منافع جمَّة ، حسنت استعارته (للعلم)، للمشابهة التي بينهما في (الاتساع، والكثرة ، وتحقق الفائدة).

الاستعارة القبيحة:

هي التي فقدتْ شرطاً من شروط الاستعارة الحسنة التي ذُكِرَت . وقد حاول النقاد وضع ضوابط للاستعارة بحيث يعد الخروج عنها عيباً وقبحاً ، وأهم تلك الضوابط :

1- أن تكون هناك مناسبة في العرف والعادة بين المستعار له والمستعار منه .

2- أن يكون هناك وجه جامع بين المستعار له والمستعارمنه ، وكلما قرُب هذا الوجه حسنت الاستعارة ، وكلما بعُد وغمض قلل ذلك من حسنها ، فإن اشتد غموض الوجه وبعُد جداً عُد ذلك عيباً .

3- مدى قبول النفس والأذواق للاستعارة ، أو نفورها منها .

وتبعاً لاختلاف العادات والأعراف ، واختلاف الأذواق التي تقبل الاستعارة أو ترفضها، فقد اختلف العلماء والنقاد في قبول ورد بعض الاستعارات ، وفي استحسانها وعيبها .

---

[1] سورة مريم ، الآية (4)

[2] ذكره ضياء الدين ابن الأثير (بلا نسبة) في الجامع الكبير ،مرجع سابق ، ص86

[3] ضياء الدين ابن الأثير ، الجامع الكبير ، مرجع سابق، ص85، 86

وفيما يلي أمثلة لبعض الاستعارات القبيحة ورأي النقاد فيها .

قال أبو نواس :

بـُحَّ صوتُ المالِ ممّا مذْكَ يشْكُو، ويصيحُ [1]

قال ابن رشيق : " فأي شيء أبعد استعارة من صوتٍللمال ؟ فكيف حتى بـُحَّ من الشكوى والصياح مع ما أن له صوتاً حين يوزن أو يوضع؟ ولم يرده أبو نواس فيما أقدر؛ لأن معناه لا يتركب على لفظه إلا بعيداً "[2].

ويعلّق ابن الأثير على البيت بقوله : هو" من الكلام النازل بالمرّة ، ومُراده من ذلك أنّ المال ينتظم تمكّ إيّاه بالتمزيق . فالمعنى حَسَنٌ ، والتعبير عنه قبيح "[3].

وكذلك قول بشار:

دَّت رِقَابُ الوَصلِ أَسيَافَ هَجرِنَا وَقَدَّت لِرِجْلِ البَينِ نَعلَينِ مِن خَدِّي [4]

فما أهجن " رجل البين " وأقبح استعارتها! ولو كانت الفصاحة بأسرها فيها، وكذلك " رقاب الوصل"[5].

ومن الاستعارت القبيحة أيضاً قول أبي تمام:

لها بينَ أبوابِ المُلوكِ مَزامِر مِنَ الذكرِ لَم تُنفَخ ولا هي تَزمرُ [6]

وقوله :

قَوِيلِمدْ لُخْرْدُعَيْكَ أَفَقَدْجَتَ هَذا الأَنَامَ مِنْ خُرُقِكْ [7]

وقوله أيضاً :

إلى ملكٍ في أيكةِ المجد لم يزلْ على كَبدِ المَعْروفِ مِنْ نيلهِ بردُ [8]

يقول القاضي الجرجاني[9] معلقاً على قُبح الاستعارة في الأبيات السابقة :

---

[1] أبو نواس ، مرجع سابق، ص140

[2] ابن رشيق ،مرجع سابق ،ج1،ص271

[3] ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مرجع سابق، ج2،ص79

[4] ذكره ابن رشيق في العمدة ،مرجع سابق ،ج1، ص271. ولم أجده في ديوان بشار .

[5] ابن رشيق ،مرجع سابق ،ج1،ص271

[6] أبو تمام ، مرجع سابق ، ج1 ، ص345، وفي رواية الديوان (لم تنفخ ولا تُتَزَمَّرُ)

[7] نفس المرجع السابق،ج1، ص 440 . ومعنى الأخدعين قان في ظاهر العنق ، الخُرُق : الحماقات

[8] نفس المرجع السابق ، ج1،ص278 (وفي الديوان برواية مختلفة)

[9] القاضي الجرجاني (...- 392هـ= ... – 1002م) : هو علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني ، أبو الحسن. قاض من العلماء بالأدب، كثير الرحلات ، له شعر حسن ، ولد بجرجان ، وتولى القضاء فيها ، توفى بنيسابور وهو دون السبعين ودفن في جرجان ، من أشهر كتبه الوساطة بين المتنبي وخصومه، وتفسير القرآن ، وله ديوان شعر .الأعلام300/4.

" إذا سمعت هذا النوع من الاستعارات " فاسدد مسامعك ، واستغش ثيابك ، وإياك والإصغاء إليه ، وأحذر الالتفات نحوه ؛ فإنه مما يُصديء القلب ويُعميه ، ويَطمس البصيرة ، ويكدّ القريحة."[1] غير أنه لم يذكر العِلّة في قبح هذه الاستعارات .

بيت أبي الآمدي(* يا دهرُ قَوِّمْ مِن أَخْدَعَيْكَ) :

"أي ضرورةٍ دعته إلى الأخدعين؟ وكان يمكنه أن يقول " قوم من اعوجاجك " أو " قوم ما تعوج من صنعك " أو: يا دهر أحسن بنا الصنيع؛ لأن الأخْرَقَ هو الذي لا يُحْسِن العمل، وضده الصَّنَعُ "[2].

بيد أن المُلاحظ على كل هذه الاستعارات إضافةً لما ذُكِر ، البُعد الشديد في وجه الشبه، حتى أنه لا يتركب مع بعضه البعض إلابشيء من التعسُّف ، كما أنها تفقد التشابه والتناسب بينها وبين ما اُستعيرت له نحو قول بشار: (وَقَدَّتْ لِرِجْلِ البَينِ نَعلَينِ مِن خَدِّي)، وبعضها جاء بألفاظ قبيحة حتى أنه لا يوجد تناغم بينها في الجرس والوزن الموسيقي نحو قول أبي تمام (يا دَهْرُ قَوِّمْ دَأُغْيُكَ ..).

ومن قبيح الاستعارات كذلك بيت أبي تمام :

تَحَمَّلتُ مَا لَوْ حُمِّلَ الدَهْرُ شَطْرَهُ لَفَكَّرَ يَوْمَيْنِ أَيُّهُمَا أَثْقَلُ [3]

" جعل للدهر عقلاً، وجعله مفكراً في أي العبأين أثقل، وما شيء هو أبعد من الصواب من هذه الاستعارة، وكان الأشبه والأليق بهذا المعنى لما قال " تحملت ما لو حمل الدهر شطره " أن يقول: لتضعضع، أو لا نهدَّ، أو لأمن الناس صروفه ونوازله، ونحو هذا المعنى مما يعتمده أهل المعاني في البلاغة والإفراط"[4].

ومن ذلك قول ذى الرُّمَّة[5]:

تَيَمَّمْنَ فُوخَ الدُجَى فصدعنَ[6] وَزَ الفلا صَدْعَ السيوفِ القواطعِ[7]

---

[1] القاضي الجرجاني ، الوساطة بين المتنبي وخصومه ،مرجع سابق، ص 40، 41

* الآمدي(...- 370هـ= ... – 980م) :هو الحسن بن بشر بن يحي الآمدي ، أبو القاسم ، عالم بالأدب، راوية ، من الكتاب ، له شعر ، أصله من آمد ، ومولده ووفاته بالبصرة ، أشهر كتبه (الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري)، وكتاب (المؤتلف والمختلف) و(معاني شعر البحتري) ، وغيرها . الأعلام185/2.

[2] الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر ، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق : السيد أحمد صقر ، القاهرة ، دار المعارف، ط4، ج1، ص 271

[3] أبو تمام ، مرجع سابق ، ج2 ، ص36

[4] الآمدي ،مرجع سابق ، ج1، ص 272

[5] ذُو الرُّمَّة (77- 117هـ= 696 – 735م)هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي ، من مضر ، أبو الحارث ذو الرّمّة . شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره. أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال .امتاز بإجادة التشبيه ، له ديوان شعر مطبوع في مجلد ضخم . توفى بأصبهان وقيل بالبادية.الأعلام5 /124.

[6] تيمم: توخى وتعمّد ، يافوخ : فراغ بين عظام الجمجمة ، الجوز : الوسط .

[7] ذو الرمة ،مرجع سابق ،ص290 ورواية الديوان (صدع السيوف الصَّوادعِ).الصدع معناه الشق. وفي المجاز:(صدع يافوخ الدجى) أي أدلج.

فجعل للدجى يافوخاً [1].

يرى الدكتور محمد أبو موسى- الذي يمثل النقد الحديث للاستعارة- أن هذه الاستعارات القبيحة بـُ ني أكثرها على تشبيهات قريبة وليست بعيدة، فمثلاً قوله (كبد المعروف) أصله تشبيه المعروف بحي ذي كبد ، بعد إضفاء الصفة الإنسانية عليه، ويرى أن هذا ليس ببعيد ، لأنهم يقولون " يعزى به المعروف" أو "يحيا به" ، وليس بمستهجن . وكذلك القول في بقية الاستعارات ، لكن هذه الاستعارات المذكورة هي من نوع الاستعارة المكنية ، التي هي جعل الشيء للشيء ليس له ، وتقوم على تشبيهات فرضية وقائمة على تصورات خيالية وا ٍفراغات نفسية ، وليس في التشبيه أبعد من أن تشبه الشيء بالشيء في صفة ليست قائمة في المشبه ، وا ٍنما تفترضها وتكسبه إياها بخيالك وحسك ، ولم يقل أحد أن مثل هذه الاستعارات قبيحة[2].

ويعزي السبب في فساد هذه الاستعارات هو أن اللواحق للتي أثبتت من المشبه به لم تـُعهد، وا ٍنما عهد الخيال والمجاز غيرها ، فإنهم جعلوا الدهر إنساناً ووصفوه بالوفاء والغدر، ولكن لم يجعلوا له أخدعاً ، وجعلوا القصائد أناسي تشفع وتغضب ، أو ترفع وتضع ، لكنهم لم يجعلوا لها مزاميرِ نفخ فيها ، فالاستعارة خرجت عن المألوف من غير أن تكون هناك ضرورة تلجيء إلى ذلك[3].

ويضيف : إن الآفاق الجديدة في المجاز ليست مردودة و لا معيبة ، بل أنها تحسب للشعراء، فقد كان الشعراء المجيدين أمثال(امرئ القيس) يبنون على المألوف من صور الخيال ويزيدون عليها فيحسنون ، ويذكر البلاغيون إحسانهم[4].

وساق أبو موسى أسباباً كثيرة لفساد الاستعارة منها أيضاً :

-يرجع فساد الاستعارة غالباً إلى أن الشكل أو الصورة التي تـَشكَّلت من المشبه ولاحقة من لواحق المشبه به ، صورة نافرة تثير معنى الاستخفاف والهزء أكثر من الإعجاب كما في صورة (لها بين أبواب الملوك مزامير) .

ربما كان سبب القـُبـْح أيضاً المبالغات التي لا تجد رصيداً نفسياً ، وا ٍنما مبالغات لفظية فحسب كقول المتنبي :

تـَجـَمَّعـَتْ في فـُؤادِ هِ هِمَمٌ مِلْءُ فـُؤادِ الزَّمَانِ إحْدَاهَا[5]

إذا نظرت الى هذه الاستعارات الرديئة أحسست أن العبارة فيها تنفصل عن الحس وأن الخيال ينهض وحده من غير أن يكون محمولاً على قوة من الفكر وطاقة من الشعور[1].

---

[1] الآمدي ،مرجع سابق ، ج1، ص 272

[2] محمد أبو موسى، مرجع سابق، ص 330

[3] نفس المرجع السابق، ص 330 ،331

[4] نفس المرجع السابق (بتصرّف)، ص331، 332

[5] المتنبي ، مرجع سابق ،ص539

وهكذا ، لا يمكن إهمال رأي السابقين في الحكم على الاستعارة بالقبح حسب نظرتهم النقدية والفنية من خلال تذوقهم لهذا الفن في عصورهم ، كما نحترم أيضاً رأي المحدثين أمثال الدكتور محمد أبو موسى ، الذين أيضاً أمعنوا النظر في هذا الفن وحلّلوه وجاءوا فيه بآراء جديدة لها اعتبارها وقيمتها الأدبية.

خصائص الاستعارة ومزاياها البلاغية

تحدَّث عبد القاهر الجرجاني عن خصائص الاستعارة ومحاسنها فقال"هي أمدُّ ميداناً، وأشدُّ افتناناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً وإحساناً، وأوسعُ سعَةً وأبعد غَوْراً، وأذهبُ نَجْداً في ناعة وغَوْراً، من أن تُجمعَ شُعَبها وشُعوبها، وتُحصرَ فنونها وضروبها، نعم، وأسحَرُ سِحْراً، وأملأ بكل ما يملأ صدْراً، ويلأمتعيعُقِ نْدس نفساً، ويوفر أُنْساً، ...وأن تأتيك على الجُملة بعقائل يأْنس إليها الدين والدنيا، وفضائل لها من الشرف الرُّتْبة العليا، وهي أجلُّ من أن تأتيَ الصفةُ على حقيقة حالها، وتستوفيَ جملةَ جمالها "[2].

ثم ذكر إشارات وتلويحات في فضائلها وبدائعها منها :

1-الاستعارة أنها تُبرز هذا البيان أبداً في صورة مُستجَدَّةٍ تزيد قَدرَه نُبْلاً، وتوجب له بعد الفضلِ فضلاً، وإنَّكَ لَتجِدُ اللفظة الواحدة قد اكتسبتَ بها فوائد حتى تراها مكرّرة في مواضعَ ، ولها في كل واحد من تلك المواضع شأنٌ مفردٌ ، وشرفٌ منفردٌ ، وفضيلةٌ مرموقة[3].

" فأنت ترى اللفظة المستعارة قد استعيرت في عِدة مواضع ، ثم ترى لها في بعض ذلك ملاحة لا تجدها في الباقي . مثال ذلك أنك تنظر إلى لفظة الجسر في قول أبي تمام [4]":

لْمَعُ المَرْءُ أَنْ يَجْتَابَ لُجَّتَهُ بالقَوْلِ نِمْجَلِسٍ رِيكَلُّهُ العَمَلُ [5]

وقوله :

صُرتَ بالرّاحةِ العُظْمى فلَمْ تَرَها تُنَالُ إلاّ عَلى جِسْرٍ من التَّعبِ [6]

فترى لها في الثاني حُسناً لا تراه في الأول .

ثم تنظر إليها في قول الشاعر :

قُولي: نَعَمْ ونَعَمْ إنْ قُلتِ واجبةٌ قالتْ : عَسى وعسى جِسرٌ إلى نَعَمِ [7]

---

[1] أنظر محمد أبو موسى، مرجع سابق ، ص 332 ،336 ، 337

[2] الجرجاني ، أسرار البلاغة ،مرجع سابق ، ص43

[3] نفس المرجع السابق ، ص42

[4] الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، مرجع سابق، ص78

[5] أبو تمام ، مرجع سابق ،ج2،ص10

[6] نفس المرجع السابق ، ج1،ص49

[7] البيت لربيعة الرَّضّي ،شعر ربيعة الرضي ،صنعه: زكي ذاكر العاني، دمشق ،منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي،د.ط، 1980م ،ص55

فترى لها لطفاً وخِلابةً وحُسناً ليس الفضلُ فيه بقليل[1] .

2- ومن مزاياها الإيجاز، " فهي تُعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخرجَ من الصدَفة الواحدة عِدّةً من الدُّرَر، وتَجْنِيَ من الغُصْن الواحد أنواعاً من الثَّمر"[2].

ومثالُ ذلك قولُ ابنِ المعتز:

أَثْمَرَتْ أَغْصانُ راحَتِه بِجِنانِ الحُسْنِ عُنَّابا[3]

فلو أُظْهِر التشبيه لقيل :(أثمرتْ أصابعُ يدِه التي هي كالأغصان لطالبي الحسنِ شبيهِ العنابِ من أطرافِها المخضوبة) . ولايخفى الإيجاز في البيت وتحقيق المراد من التجميل والإيجاز)[4] .

3- والاستعارة تحسين المعنى وإبرازه في حُلَّة جميلة تعجب النفس ، وقد يكون في هذا ما لاتدركه الحقيقة ، ويمكن أن يحققه التشبيه لولا فضل الإيجاز الذي يبدو في الاستعارة ، ومن أمثلة ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم (يا أنجَشَةُ، رُوَيدَكَ سَوقَكَ بالقَوارِيرِ)[5]، وفي رواية أخرى (رفقاً بالقوارير) وحقيقة المعنى رفقاً بمن هُنَّ في الضعف والوهن، وتمكُّن الفساد من نفوسهن إذا تسرَّب إليهن ، كالقوارير التي يوهِنها الخفيف، ويَصْدَعها اللطيف، فلا تقبل الجبر بعد الكسر" . قد أدى النبي صلى الله عليه وسلم بهذه العبارة الموجزة كل هذا الغرض الشريف بلفظ عفيف لا يجرح عزتهن ، ولا ينال من كرامتهن، مع الإيجاز المعجب[6] .

4- ومن فضائل الاستعارة أنها تجعل الجماد حيّاً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخُرس مُبينةً، والمعاني الخفيّةَ باديةً جليّةً ... وإن شئت أرتك المعاني اللطيفةَ التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جُسِّمت حتى تعود رُوحانية لا تنالها إلاّ الظنون"[7].

وذلك نحو قوله تعالى: (سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ)[8].

فها هي النار التي تعتبر جماداً حية تصدر أصواتاً تنبيء عن غضبها وغيظها ، وتتصرّف كما يتصرّف العُقلاء .

---

[1] الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،مرجع سابق، ص78 ، 79

[2] الجرجاني ،أسرار البلاغة ، مرجع سابق ، ص43

[3] تم توثيقه

[4] بدوي طبانة ، البيان العربي (دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية) ، مرجع سابق، ص318

[5] رواه البخاري ، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحُداء وما يكره منه، حديث رقم (6149)، ص1186

[6] بدوي طبانة ، البيان العربي (دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية) ، مرجع سابق ، ص318 ، 319

[7] الجرجاني ،أسرار البلاغة ،مرجع سابق، ص43

[8] سورة الملك، الآيتان (7 ، 8)

يقول أبو هلال العسكري :

"حقيقة الشهيق هاهنا الصوت الفظيع ، وهما لفظتان ، والشهيق لفظة واحدة ، فهو أوجز على ما فيه من زيادة البيان. وتميز: حقيقته تنشق من غير تباين ، والاستعارة أبلغ ؛ لأن التميز في الشيء هو أن يكون كل نوع منه مبايناً لغيره ، وصائراً على حِدَّتِه ، وهو أبلغ من الانشقاق؛ لأن الانشقاق قد يحصل في الشيء من غير تباين . والغيظ: حقيقته شِدة الغليان، وإنما ذكر الغيظ لأن مقدار شدته على النفس مدرك محسوس ؛ ولأن الانتقام منا يقع على قدره، ففيه بيان عجيب وزجر شديد لا تقوم مقامه الحقيقة البتة"[1] .

إذن الاستعارة قد حققت في الألفاظ الثلاثة (الشهيق ، تميز ، الغيظ) دلالة لا يمكن استيعابها في الألفاظ الاعتيادية لو استبدلت بها. وفي هذا الاستعمال تصوير لصوت نار جهنم وهي مشتعلة وهائجة تتلظى، حتى إذا تخيلها الشخص ازداد منها رعباً وفزعاً ، وكأنها مخلوق ذو قوة وبطش ، ومجهول ذو منظر عبوس[2].

ومن أمثلة تجسيم الاستعارة للمعاني وإبرازها للعيان كشخوص وكائنات حية يصدر عنها كل مايصدر عن الكائنات الحية من حركات وأعمال، قول أبي فراس الحمداني عندما يقول:

وَيَا (عِفَّتِي) مَالِي؟ وَمَالَكِ ؟ كُلَّمَا هَمَمْتُ بِأَمْرٍ هَمَّ لِي مِنْكِ زَاجِرُ![3]

فعفّة أبي فراس تستحيل بلمسة من لمسات الاستعارة السحرية إلى إنسان يقف موقف الزاجر كلما هم الشاعر بأمر تراه العفة غير لائق به! فهذه الصورة الرائعة الخلابة المؤثرة ما كانت لتكون لو أنّ الشاعر التزم في التعبير حدود الحقيقة و قال مثلاً: (أنا لا أحاول ما يشين لأني رجل عفيف)[4].

والتجسيم وكذلك التشخيص في الاستعارة ، فيه من الابتكار ودِقَة الخيال وتقريب المعنى ما لايخفى على أحد ، فضلاً على ما يحدثه من أثر في النفس وتحريك للمشاعر . ويُلاحظ ذلك في القرآن الكريم، خاصة عندما يتحدَّث عن الأمور الغيبية التي يَصْعُبتصوُّرها بالعقل ، فلولا هذا التجسيم أو التشخيص لما استطاع العقل إدراك وتصوّر مثل هذه الأمور، وإن كانت تختلف في حقيقتها عن ذلك الخيال أو التصوُّر الذي يعتبر تغريبياً فقط.. والله أعلم.

---

[1] أبو هلال العسكري ،مرجع سابق، ص299

[2] محمد حسين علي الصغير ، أصول البيان العربي في ضوء القرآن الكريم ، لبنان-بيروت، دار المؤرخ العربي ، ، ط1، 1420هـ – 1999م ،ص118

[3] أبو فراس الحمداني، مرجع سابق، ص125

[4] ، عبد العزيز عتيق ، مرجع سابق، ص200

5- ومن فضائل الاستعارة أنها تنتقل بالنص من الجمود اللفظي المحدد له إلى السيرورة في التعبير ، والمرونة في الاستعمال ، ألا ترى إلى قوله تعالى : **(واشتعل الرأس شيبا)**[1]، إنك تقف مبهوراً أمام بلاغة التعبير ودقة المعنى وسيرورة الألفاظ ، فالمستعار منه هو النار ، والمستعار له هو الشيب ، وقد جمعهما معني حسي بوجه حسي ، وهو التوهج ، وا نك لا تجد ذلك في:(وازداد الرأس شيباً)، ولا في (شاب رأسي) ، ولا في غيرهما عند التقدير ، فكأن اللفظ بصيغته الاستعارية و ُضِ ع لهذا المعنى السيار[2].

6- من خصائص الاستعارة تهويل الأمر ، ودِقَّة المبالغة ، وشِ دَّة الوقع . وذللك يتمثل في قوله تعالى:**(وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً)**[3] ، فالمراد (ذر بأسي ، واترك عذابي وعقوبتي)، إلا أن المبالغة في التهديد ، والشِ دَّة في الوعيد ، اقتضت نسبة ذلك إليه – تعالى – ولو استعمل غير هذا اللفظ لما قام مقامه ، ولا أدى دلالته ، ولبقيت الصورة المرادة غير ماثلة للعيان كما هو الآن[4] .

وفضائل الاستعارة ومزاياها البلاغية والجمالية كثيرة، لا تقف عند هذا الحد المذكور، فكلما نقبت عن معانيها ، وتأملت صورها وتراكيبها ، تجد الكثير الممتع المتجدد من هذه المحاسن و الفضائل.

---

[1] سورة مريم، الآية (4)

[2] محمد حسين علي الصغير ، مرجع سابق ،ص117 ، 118

[3] سورة المدثر ، الآية (11)

[4] محمد حسين علي الصغير ، مرجع سابق ، ص 118، 119

المبحث الرابـــــع
الكناية

الكنايةُ لغةً :

الكنايّة أن تتكلّم بشيء وتريد غيره ، وكَنَى عن الأمر بغيره يَكني كِناية، يعني أن تتكلم بغيره مما يستدل به عليه ، نحو الرفث ، والغائط ونحوه"[1].

واصطلاحاً:

عرّفها عبد القاهر بقوله :

" أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردِفُه في الوجود، فيومىء به إليه، ويجعله دليلاً عليه[2].

والكناية عند السّكّاكي: " ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك. كما تقول: فلان طويل النجاد، لينتقل منه إلى ما هو ملزومه ، وهو طول القامة[3].

وذكر ابن الأثير عدّة تعريفات للكناية منها: " أنّها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة و المجاز"[4] .

وهو بهذا التعريف قد جعل الكناية من المجاز ، وفيه خلاف.

أما القذويني فيعرّف الكناية بأنها:"لفظٌ أُريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذٍ "[5].

والكناية عند البلاغيين عموماً هي: " أن تطلق اللفظ وتريد لازم معناه مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي"[6]. وفي هذا التعريف يظهر الفرق بين الكناية والمجاز ، فالقرينة في المجاز تمنع من إرادة المعنى الحقيقي ، أما القرينة في الكناية فلا تمنع من إرادة المعنى الحقيقي ، بل يجوز إرادته كذلك ؛ إلا أن هناك بعض الكنايات التي لا يمكن حملها على المعنى الحقيقي للفظ "[7]فيمتنع فيها إرادة المعنى الأصلي لخصوص الموضوع، كما في نحو قوله تعالى:(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)[8] ، كناية عن تمام القدرة وقوة التمكين والاستيلاء ، ونحوها"[1]. ومع ذلك فإن هذا

---

[1] ابن منظور ،مرجع سابق ، مادة (كني) ،مج15، ص270

[2] الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، مرجع سابق، ص270

[3] السكاكي، مرجع سابق، ص 402

[4] ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مرجع سابق ،ج3 ، ص52

[5] القزويني ، مرجع سابق، ص 241

[6] فضل حسن عباس، مرجع سابق ، ص247

[7] نفس المرجع السابق ،ونفس الصفحة .

[8] سورة طه ، الآية (5)

لا يدخلها في المجاز ، فالمعو ّل في الكناية إذن التعبير عن المعنى بغير لفظه . وبهذا فالكناية لا بد لها من أركان ثلاثة :

1- اللفظ المكنى به 2- المعنى المكنى عنه

3- القرينة التي تجعل المعنى الحقيقي غير مراد سواء كانت هذه الإرادة ممكنة أم غير ممكنة[2].

أقسام الكناية :

1/ تنقسم الكناية من حيث الشيء المدلول عليه [المكنى عنه] إلى ثلاثة أقسام :

أولاً : المطلوب بها صفة :

وهي الكناية التي يُراد بها صفة من الصفاتالمعنوية كالجود والشجاعة ، والسؤدد ، والذُبْل ...الخ . والكيفية التي يأتي عليها هذا الضرب من الكلام هو أن يذكر المتكلّم موصوفاً وينسب إليه صفة غير مرادة في ذاتها ، ولكن يُستدلُ منها على صفة أخرى هي التي يريدها المتكلِم . وهي ضربان :

أ/ الكناية القريبة :

وهي التي ينتقل ذهن المتلقي فيها من المعنى الوضعي إلى المعنى المراد مباشرةً دون وسيط ، وسميت قريبة لقِصَر زمن إدراك المراد منها بسبب انتفاء الوسائط . وتأتي الكناية القريبة على إحدى حالتين:

الأولى : واضحة يسهل انتقال الذهن منها إلى المراد بها كقولك (عنترة طويالنجاد) والنِجاد هو حمائل السيف ، فالمتكلِم ذكر موصوفاً وهو (عنترة) ثم نسب إليه صفة هي (طول النجاد). ولكن هذه الصفة غير مرادة في ذاتها ، بل المراد صفة أخرى تتوارى خلفها ، وهي (طول القامة) فإن طول النجاد يستلزم طول القامة. وكذلك نحو قولهم: (سُعْدَى نؤومالضحى) ، فالمتكلِم هنا أتى بموصوف وهو (سُعدى) ونسب إليها صفة أخرى هي التي يريدها المتكلِم ، وهو الترفة والتنعم .

الثانية : خفية : لا ينتقل الذهن منها إلى المراد بها إلا مع شيء من التأمل والتفكُّر ، كقول العرب(فلان عريضا القفا) كناية عن أنه (أبْفلإبَه)عرض القفا على نحو مفرط مَعْلَمُ بلاهة في الذهنية العربية . فالمتكلِم ذكر موصوفاً (فلان) ثم نسب إليه صفة هي (عُرض القفا). وهي صفة غير مرادة ، بل المراد لازمها وهو البلاهة . وانتقال الذهن من عرض القفا إلى البلاهة لا يحصل إلا مع شيء من التأمل ، لأن فيه نوع خفاء .

---

[1] أحمد الهاشمي ، مرجع سابق ،ص288

[2] فضل حسن عباس، مرجع سابق ، ص247

ومن هذا النوع أيضاً الكناية في قوله تعالى مخاطباً الرسول عليه الصلاة والسلام (وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)[1]؛ فالانتقال من غِلظ القلب إلى الجفوة والفظاظة يحتاج إلى شيء من التأمل .

ب/الكناية البعيدةما ينتقل الذهن فيها من المعنى الأصلي إلى المعنى المُراد بوسيط أو عدة وسائط. وسُميت بعيدة لبعد زمن إدراك لمُراد منها ، كما في قولهم: "فلان كثير الرماد" كناية عن أنه جواد، فالمتكلم ذكر موصوفاً وهو (فلان) ونسب إليه صفة هي (كثرة الرماد) ولكن هذه الصفة غير مرادة، بل المراد لازمها وهو (الجود) ولا ينتقل الذهن من كثرة الرماد إلى صفة الجود دون المرور بهذه الوسائط وهي : (من كثرة إحراق الحطب، إلى كثرة الطبخ، ثم إلى كثرة الأكلة، ومنها إلى كثرة الضيفان، ومنها إلى صفة الجود)[2].

ومثله قول الشاعر:

وَمَا يَكُ فِيَّ عَيْبٌ فَإِنَّنِي جَبَانُ الكَلْبِ ، مَهْزُولُ الفَصِيلِ [3]

فقد كنَّى عن جوده، وكثرة قِراه للأضياف بجبن الكلب، وهزال الفصيل. ووسائط الذهن في الانتقال من المعنى الوضعي (لجبن الكلب) إلى المعنى المراد (الجود) كثيرة ، وهي: (تأديب الكلب، ومنه إلى استمرار ما يوجب نباحه، وهو اتصال مشاهدته الوجوه الجديدة دائماً ، ثم ينتقل من هذا إلى كون صاحبه مقصداً ومزاراً للناس ، ومن هذا إلى أنه يقري الأضياف، وهذ يدل على كرم هذا الشخص ، وهو المعنى المراد من الكناية . وكذا الشأن في قوله (مهزول الفصيل)[4] .

والثانية: وهي المطلوب بها موصوف :

ضابطهاأنْ يُصرَّح بالصفة وبالنسبة، ولا يُصرَّح بالموصوف المطلوب النسبة إليه، ولكن يذكر مكانه صفة تختص به كما في قولك: "فلان صفا لي مجمع لبه "كناية عن قلبه؛ فقد صرح في هذه الكناية بالصفة، وهي "مجمع اللب"، وصرح بالنسبة، وهي إسناد الصفاء إليها، ولم يصرح بالموصوف المطلوب نسبة الصفاء إليه، وهو "القلب"، ولكن ذكر مكانه وصف خاص به وهو "كونه مجمع اللب"، فإن القلب - كما يقولون - موضع العقل والتفكير. وهذه الكناية أيضا نوعان:
أ- ما يكون الكناية فيه معنى واحداً كما في المثال السابق: فلان صفا لي مجمع لبه؛ فمجمع اللب المكنى به عن القلب معنى واحد .

---

[1] سورة آل عمران ، الآية (159)

[2] عيسى العاكوب، مرجع سابق ، ص ص537 -539

[3] أورده الخطيب التبريزي (بلا نسبة)في شرح ديوان الحماسة لأبي تمام كتب حواشيه:غريد الشيخ،وضع فهارسه العامة:أحمد شمس الدين، بيروت-لبنان، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1421هـ-2000م،ج2، ص972 . والجرجاني في دلائل الإعجاز ،ص307 . الفصيل: ولد الناقة.

[4] عيسى العاكوب، مرجع سابق ، ص539 ،540

وكما في قول الشاعر:

ار ِبِين َ بالكُنى َّ ِ أبيض َ م ُ خ ْ ذ َم[1] والطاعنين َ مجامِ ع َ الأَض ْ غانِ [2]

يصف الشاعر قومه بالبسالة ، وحسن البلاء في الحروب، وأن سيوفهم لا تعرف غير المقاتل جفونا، فكنى بمجامع الأضغان- وهو معنى واحد - عن القلوب. والمراد بوحدة المعنى ألا يكون من أجناس مختلفة، وإن كان مثنى أو جمعا ، فمجامع الأضغان في قول الشاعر السابق - وإن كان جمعا- هو معنى واحد من حيث إن مدلوله جنس واحد هو "القلوب" لا أجناس مختلفة[3].

ومثال هذا النوع أيضاً قول أبي نواس في وصف الخمر:

فلما شربناها ودب دبيبها إلى موطن الأسرار قلت لها قفي

مخافةأن يسطو علي شعاعها فيطلع الندمان على سري الخفي[4]

فالكناية في البيت الأول هي (موطن الأسرار) . يريد الشاعر أن يقول : (فلما شربنا الخمر ودب دبيبها أي سرى مفعولها إلى القلب أو الدماغ قلت للخمرة: قفي) . ولكنه انصرف عن التعبير بالقلب والدماغ هذا التعبير الحقيقي الصريح إلى ما هو أملح وأوقع في النفس وهو(موطن الأسرار) لأن القلب أو الدماغ يفهم منه أنه مكان السر وغيره من الصفات[5] .

وهنا صرح أبو نواس بالصفة وهي (موطن الأسرار) وصرح أيضاً بالنسبة وهي (اسناد الدبيب إلى موطن الأسرار) ولم يصرح بالموصوف الذي هو (القلب) بل ذكر مكانه وصفاً خاصاً به وهو كونه موطن الأسرار.

ب-ما تكون الكناية فيه مجموع معانٍ مختلفة ، كما يقال في الكناية عن الإنسان: زارني حي، مستوي القامة، عريض الأظفار، فالكناية مجموع هذه المعاني من الحياة، واستواء القامة، وعرض الأظفار، لا كل واحد منها، وهذه المعاني مجتمعة وصف خاص بالإنسان، لا يوجد في سواه[6].

والثالثة : وهي المطلوب بها نسبة:

---

[1] الأبيض: السيف, والمخذم : القاطع

[2] البيت لعَمرو بن مَعْدي كرِبَ الزُّبَيْدي في ديوانه ، جمعه ونسقه: مطاع الطرابيشي ، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، ط2، 1985، ص 174.

[3] حامد عوني ،المنهاج الواضح للبلاغة ، القاهرة ،المكتبة الأزهرية للتراث ، د.ت ، ج1، ص152

[4] ذكره ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي ، في :خزانة الأدب وغاية الأرب ، تحقيق :عصام شقيو، بيروت ،دار ومكتبة الهلال ،طبعة 2004م ،ج2،ص17 .وعبد العزيز عتيق في كتابه علم البيان،ولم أجده في ديوان أبي نواس ، ص216

[5] عبد العزيز عتيق، مرجع سابق ، ص216

[6] حامد عوني ، مرجع سابق ، ج1، ص152

وضابطها: أن يُصرَّح بالموصوف والصفة، ولا يصرح بالنسبة بينهما، ولكن يذكر مكانها نسبة أخرى تستلزمها، وهذه النسبة إما أن تكون إثباتاً أو نفياً [1].

يقول عبد القاهر الجرجاني في توضيح هذا النوع من الكناية: " أنهم يرومون وصف الرجل ومدحه، وإثبات معنى من المعاني الشريفة له، فيدعون التصريح بذلك، ويكنون عن جعلها فيه بجعلها في شيء يشتمل عليه ويتلبس به، ويتوصلون في الجملة إلى ما أرادوا من الإثبات، لا من الجهة الظاهرة المعروفة، بل من طريق يخفى، ومسلك يدق؟" ومثّل لها بقول الشاعر :

إنَّ السَّماحةَ والمروءةَ والنَّدى في قبةٍ ضربتْ على ابن الحشرجِ [2].

فالشاعر" أراد أن يثبت هذه المعاني والأوصاف خلالاً للممدوح وضرائب فيه ، فترك أن يصرح فيقول: " إن السماحة والمروءة والندى لمجموعة في ابن الحشرج، أو مقصورة عليه، أو مختصة به " وما شاكل ذلك مما هو صريح في إثبات الأوصاف للمذكورين بها ، وعدل إلى ما ترى من الكناية والتلويح، فجعل كونها في القبة المضروبة عليه عبارة عن كونها فيه وإشارة إليه فخرج كلامه بذلك إلى ما خرج إليه من الجزالة وظهر فيه ما أنت ترى من الفخامة ولو أنه أسقط هذه الواسطة من البين لما كان إلا كلاماً غفلاً وحديثاً ساذجاً "[3].

إذن فقد صرَّح في هذه الكناية بالموصوف وهو(ابن الحشرج) ، كما صرَّح أيضاً بالصفة، وهي ثلاث صفات (السماحة، والمروءة، والندى) ، ولم يصرح بنسبة هذه الصفات إلى الممدوح مباشرة ، بل نسبها إلى مكانه وهو القبَّةُ المضروبة عليه, ونسبة الصفات إلى القبَّة تستلزم نسبتها إلى الممدوح . والنسبة المذكورة هنا في الإثبات .

ومثالها في النفي قول الشنفرى*يصف امرأة بالعفة والنزاهة:

بِمنجاةٍ من اللّوماتِ بيتُها إذا ما بيوتٌ بالملامةِ حُلَّتِ [4]

---

[1] نفس المرجع السابق ، ج1، ص153

[2] أورده أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني ، شرحه وكتب هوامشه: سمير جابر ،وعبد الله علي مهنا ، بيروت، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، ط4، 1422هـ-2002م ، مج 12 ، ص28. والجرجاني في دلائل الإعجاز ،ص306 ، والبيت منسوب للشاعر زياد الأعجم .

[3] الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، مرجع سابق، ص306، 307

[4] الشَّنْفَرَى (... – نحو 100 ق هـ = ... – نحو 525م) هو :عمرو بن مالك الأزدي ، من قحطان . شاعر جاهلي، يماني ، من فحول الطبقة الثانية. كان من فتاك العرب وعدّائيهم. وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم. قتله بنو سلامان. وقيست قفزاته ليلة مقتله، فكانت الواحدة منها قريبا من عشرين خطوة. وهو صاحب لامية العرب . الأعلام 5 /85.

[4] الشنفرى ، ديوان ،جمعه وحققه وشرحه: اميل بديع يعقوب، بيروت،دار الكتاب العربي، ط2، 1417هـ-1996م، ص32 . وفي الديوان(تَحُلُّ بمنجاة) ، ووردت (المذمة) بدل (الملامة)

فقد صرّح بالموصوف، وهو الضمير في "بيتها" العائد على المرأة، وصرح بالصفة، وهي اللوم المنفي في قوله: "بمنجاة من اللوم" ولم يصرح بنسبة نفي اللوم عنها، ولكن ذكر مكانها نسبة أخرى هي نفي اللوم عن بيت يحتويها، وذلك يستلزم نفي اللوم عنها[1].

وقد ذكر القزويني أن طرف النسبة المثبتة بطريق الكناية يجوز أن يكون مكنياً عنه أيضاً فيكون في البيت كنايتان : حلول البيت بمنجاة من اللوم كناية عن نسبة العفة إلى صاحبه ، والمنجاة من اللوم كناية عن العفة[2].

2/ الكناية باعتبار الوسائط :

سمى السكاكي بعض أنواع الكناية بأسماء تختلف باختلاف الاعتبارات، فهي تتنوع عنده إلى أربعة أنواع: تعريض، وتلويح، ورمز، وإيماء أو إشارة.

التعريض (أو الكناية العرضية): التعريض لغة : خلاف التصريح[3] واصطلاحاً : اطلاق الكلام والإشارة به إلى معنى آخر يُفهم من السياق ، نحو قول النبي صلى الله عليه وسلم: (المُسلِمُ مَن سَلِمَ المُسلِمونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ)[4]. فالمعنى الصريح للحديث حصر الإسلام فيمن لا يؤذي، ويلزم منه نفي الإسلام عن كل مؤذٍ ، ومن بين هذا الكل مخاطبك[5]. والمعنى الكنائي هنا مفهوم من سياق الكلام.

ومثالها أيضاً قول المتنبي في التعريض بنفي الصدق عن فتاته:

تَشتاقُ كَيتوسُ مِن أَلَمِ الشَوقِ إِلَيها وَالشَوقُ حَيثُ النُحولُ [6]

فقوله: "والشوق حيث النحول"، يفيد حصر الشوق في الجسم النحيل، وهذا يستلزم نفي الشوق عن الجسم السمين الممتلئ؛ لأن سِمَن الجسم في عرف أهل الهوى والعشق يستلزم الخلو من الشوق، فالمعنى المكنى عنه هو نفي نسبة الشوق إلى صاحب الجسم السمين، وفي هذا تعريض بنفي الشوق عن فتاته حيث تدعيه، وقد سمن جسمها وامتلأ لحمها، فهي كاذبة في ادعائها[7].

---

[1] حامد عوني ، مرجع سابق ، ج1، ص153

[2] القزويني ، مرجع سابق، ص 248

[3] ابن منظور ، مرجع سابق ، مادة (عرض) ،مج7، ص206

[4] رواه البخاري كتاب الإيمان باب المُسلِمُ مَن سَلِمَ المُسلِمونَ ..، حديث رقم (10)، ص26.والحديث عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

[5] عيسى العاكوب ، مرجع سابق، ص545

[6] المتنبي ، مرجع سابق، ص429

[7] بسيوني عبد الفتاح فيود ، مرجع سابق ، ص262

بالتلويح: كناية كثرت فيها الوسائط بين المكنَّى به والمكنَّى عنه ، ويرى أن من المناسب أن تسمَّى هذه الكناية تلويحاً لأن التلويح في اللغة: "أن يُشار إلى الشيء من بعد"[1] . ومثال التلويح أن يقال : (فلان كثير الرماد) كناية عن كون الرجل جواداً مضيافاً . وبين كثرة الرماد وصفة الجود - كما ذكر سابقاً - وسائط عدة .

الرمز: كناية قلَّت فيها أو انعدمت الوسائط بين المكنّى به والمكنّى عنه، إلاَّ أنَّ فيها نوع خفاء، مثل الكناية عن الغباء والبلادة بعبارة "عريض القفا "أو عبارة "عريض الوسادة." سمَّى رمزاً لأن الرمز أن تشير إلى قريب منك على سبيل الخُفْيَة .

والإيماء أو الإشارة: كناية قلَّت فيها الوسائط بين المكنَّى به والمكنَّى عنه أو لم تكن ، وليس فيها خفاء. كقول البحتري :

أَوَ ما رَأَيْتَ المَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ في آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لم يَتَحوَّلِ [2]

كناية عن كونهم أماجداً[3].

المعنى : أراد أن المجد أقام في خيام آل طلحة، ولم يرحل عنها ، فكنى بإثبات المجد لخيام آل طلحة عن إثبات المجد لهم ؛ ذلك أن المجد صفة ، أي معنى قائم بغيره ، والخيام لا تصلح محلاً لها واللزوم واضح[4] .

3/ الكناية باعتبار القبول وعدمه :

الكناية الحسنة : هي ما يكتسب الكلام بها حسناً وبهاءً ، كقول الفرزدق في رثاء امرأته:

سَلاَحٍ قدرُزِئْتُ فَفُجِعْتُ عَلَيْهِ ولَمْ أَبْعَثْ إليه البَواكِيَا[5]

وفي جَوْفِهِ مِنْ دارِمٍ ذو حَفيظَةٍ لَوَ أنَّ المَهَذَّالْيَاتَهُ لِيَالِيَا

يقول ابن الأثير: "وهذا حسن بديع في معناه، وما كني عن امرأة ماتت بِجُمْع[6] أحسن من هذه الكناية ولا أفخم شأناً "[7].

---

[1] بدوي طبانة ، معجم البلاغة العربية ، مرجع سابق ،(باب اللام)، ص626

[2] البحتري ، مرجع سابق،ج2،ص991

[3] السكاكي، مرجع سابق (بتصرف) ، ص 411، 412

[4] عيسى العاكوب ، ص545

[5] أورده أبو العباس محمد بن يزيد المُبرد في :الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق:.عبد الحميد هنداوي، المملكة العربية السعودية ، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والإوقاف،د.ط .د.ت، مج3، ص224،225. وابن الأثير في المثل السائر ،ج3،ص71، والآمدي في الموازنة ،ج3،ص532

[6] معنى : جُمع ، أي ولدها في بطنها (حامل)

[7] ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، مرجع سابق،ج3 ، ص71

أما القسم المختص بما يقبح ذكره من الكناية، فإنه لا يحسن استعماله، لأنه عيب في الكلام فاحش، وذلك لعدم الفائدة المرادة من الكناية فيه.

ومثال الكناية القبيحة قول المتنبي :

إني على شَغَفي بما في خُمرِها لأعفُّ عَمَّا في سَراويلاتِها[1]

يقول ابن الأثير معلّقاً على الكناية في هذا البيت : "وهذه كناية عن النزاهة والعفة، إلا أن الفجور أحسن منها"[2].

فالكناية جاءت هنا أقبح وأبشع من التصريح ولا فائدة منها ، لأن من دواعي الكناية تجميل اللفظ وتحسينه ، ولم يستطع الشاعر هنا تصريف المعنى على النحو المراد من الكناية. إذ أن حسن التصرف وبراعة الأديب أو الشاعر وحذقه في سبك معانيه وتصريفها ، هو أساس جودة العمل الأدبي.

بلاغة الكناية :

الكناية كغيرها من أساليب البيان، غنية بالاعتبارات والمزايا البلاغية ، فهي تضفي على المعنى جمالاً وتزيده قوة، كما أنها غاية بلاغية لا يَصِل إليها إلا من لَطف طبعُه وصَفت قريحته.

ولا شك أن الكناية تمثل المعنى للخيال بإدراك حسي ، أو وجداني ، وتثير الذهن للبحث عن المعنى المستتر وراء الصورة ، إلى جانب ما فيها من طرافة التعبير، كما أنها تتسم بطابع التمثيل والتشخيص للمعاني ، كما في نحو قولهم عن البخيل بأن: (يده مغلولة إلى عنقه) وقولهم للشيخ الطاعن في السن: (انحنى ظهره وأخذ يدُب على العصا)[3].

ويرى عبد القاهر الجرجاني أن الكناية أبلغ من الإفصاح وأوقع من التصريح ، ويبرهن على ذلك بقوله " فإن السبب في أنْ كان للإثبات بها مَزيَّةٌ لا تكون للتصريح أنَّ كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه أن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابَها بما هو شاهد في جودها، آكدُ وأبلغُ في الدَّعْوى من أن تجيء إليها فتثبتها سَاذَجاً غُفْلاً . وذلك أنك لا تدعي، شاهدَ الصفة ودليلها إلا والأمرُ ظاهرٌ معروف، وبحيث لا يُشك فيه ، ولا يُظَنّ بالمُخْبِر التجوّزُ والغَلَط"[4].

---

[1] المتنبي ، مرجع سابق، ص185 . وورد في الديوان(لأعف عما في سرابيلاتها) جمع سربال وهو القميص ، والمعنى: يقول أنا مع حبي لوجوههن أعف عن أبدانهن.

[2] ضياء الدين بن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، مرجع سابق ،ج3، ص70 ،71

[3] محمد مصطفى هدَّارة ، مرجع سابق ،ص82

[4] الجرجاني ،دلائل الإعجاز، مرجع سابق ، ص72

وقد وردت الكناية في كلام العرب وأشعارهم ، كما أن القرآن الكريم أيضاً اشتمل على نصيب وآفر منها ، وكذلك الحديث النبوي الشريف ، وقد حصر الزركشي أسباب مجيئ الكناية في القرآن الكريم منها :

أولاً :للتنبيه على عِظَم القدرة ، كقوله تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾[1] كناية عن آدم.

ثانياً : فطنة المخاطب ، كقوله تعالى في قصة داود عليه السلام: ﴿ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ﴾[2]، فكنى داود بـ(خصم) على لسان ملكين تعريضاً .وقوله في قصة النبي صلى الله عليه وسلم وزيد: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾[3] أي كزيد (رسول الله) .

﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾[4]، فإنه كناية عن ألا تعاندوا عند ظهور المعجزة فتمسكم هذه النار العظيمة .

ثالثاً : ترك اللفظ إلى ما هو أجمل منه كقوله تعالى: ﴿ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾[5]فكنَّى بالنعجة عن المرأة كعادة العرب أنها تكنى بها عن المرأة[6].

ومن تجميل اللفظ أيضاً أن العرب كانوا يكنون عن الموت بقولهم: (فلان استوفى أكله) ، أو بقولهم: (لحق باللطيف الخبير)، وكنّوا عن الصحراء بالمفازة ، وهي مهلكة[7].

وقد كانوا يستخدمون (الأضداد) في الكناية عن أمور مختلفة ، إما للتشاؤم ، أو التفاؤل، أو التأدب، أو تفادي إحراج المخاطب وإيلامه، كاطلاقهم لفظ (البصير) على الأعمى، أو السليم على (الملدوغ) ، أو للتلطف في التعبير بصورة عامة .

رابعاً :أن يفحش ذكره في السمع فيكنى عنه بما لا ينبو عنه الطبع. ومن ذلك الكناية في القرآن العظيم عن الجماع باللمس والملامسة والرفث والدخول والنكاح ونحوهن ، نحو قوله تعالى: ﴿ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾[8]، إذ لا يخلو الجماع من الملامسة ، و كنى عنه في موضع آخر بقوله: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ

---

[1] سورة الأعراف ، الآية (189)

[2] سورة ص ، الآية (22)

[3] سورة الأحزاب ، الآية (40)

[4] سورة البقرة ، الآية (24)

[5] سورة ص ، الآية (23)

[6] الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن ،تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، مصر ، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع، د.ط،1427هـ-2006م، ص501

[7] أحمد مصطفى المراغي ، مرجع سابق، ص 309

[8] سورة النساء، الآية (43)

حَرْثُكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ)[1]. وكنَّى عن طلب الولد بالمراودة في قوله تعالى: (وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ)[2].

ومما يستقبح ذكره أيضاً لفظة (الغائط) لذلك نجد في قوله تعالى عن مريم وابنها: (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ)[3] كنَّى بـ(أكل الطعام) عن البول والغائط لأنهما منه (مسببان) ، لكن استقبح ذكر لفظ (الغائط) فكنَّى عنه بأكل الطعام . والكناية عن الغائط جاءت هنا في تشنيع وبشاعة من اتخذهما آلهة. ويقال فيه دلالة على عدم الإلهية لنفس تأكل الطعام[4] .

يقول الزمخشري: "لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم، لم يكن إلا جسماً مركباً من عَظْم، ولَحْم، وعروق، وأعصاب، وأخلاط ، ... وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع ومؤلف مدبر كغيره من الأجسام"[5]. فكيف يكون إلها؟ .

وأمثلة الكناية عن الألفاظ التي يستكره ذكرها وتتبو عن الطبع وتعافها الأذواق كثيرة في القرآن الكريم ، لأنه كلام الله سبحانه وتعالى المنزه عن كل عيب ، فجاء عفيف اللفظ مهذب العبارة. وسار الحديث النبوي من بعده على نهجه وهداه .

خامساً تحسين اللفظ ، كقوله تعالى في وصف الحور (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ)[6]، فإن العرب كانت عادتهم الكناية عن حرائر النساء بالبيض . قال امرؤ القيس:

وبيضة خدرٍ لا يُرام خباؤها تمتعتُ من لهوٍ بها غير معجلِ [7]

ونحو قول النّبية: (وَرُءُوسُكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)[8]، كناية عن النساء.

سادساً : قصد البلاغة في قوله تعالى: (أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ)[9]، فإنه سبحانه كنى عن النساء بأنهن ينشأن في الترفه والتزين والتشاغل عن النظر في الأمور ودقيق المعاني. ولو أتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك، والمراد نفي الأنوثة عن الملائكة ، وكونهم بنات الله - تعالى الله عن ذلك- .

سابعاً : قصد المبالغة في التشنيع كقوله تعالى حكاية عن اليهود لعنهم الله: (الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ)[10] ، فإن الغل كناية عن البخل ، كقوله تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ)[1] لأن

---

[1] سورة البقرة ، الآية (223)

[2] سورة يوسف، الآية (23)

[3] سورة المائدة، الآية (75)

[4] الزمخشري ، مرجع سابق، ص502،503

[5] الزمخشري ، مرجع سابق، ص303

[6] سورة الصافات ، الآية (49)

[7] امريء القيس، مرجع سابق، (من معلقته)، ص114

[8] تم تخريجه

[9] سورة الزخرف، الآية (18)

[10] سورة المائدة، الآية (64)

جماعة كانوا متمولين فكذبوا النبي صلى الله عليه وسلم فكف الله عنهم ما أعطاهم وهو سبب نزولها.

ثامناً : التنبيه [علىأمر من الأمور، كالتنبيه على مصير كلٍ من أبي لهب وامرأته] في قوله تعالى:{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ}[2] ، أي: جهنمي مصيره إلى اللهب ، وكقوله تعالى:{وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ}[3] أي: نمَّامة ومصيرها إلى أن تكون حطباً لجهنم.

تاسعاً : قصد الاختصار أو [الإيجاز] ، ومنه الكناية عن أفعال متعددة بلفظ (فعل) كقوله تعالى: {لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}[4]، {فَفَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ}[5]، {فَعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا}[6] أي: فإن لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا[7] .

أو كقول امريء القيس:

{فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَتْ لِنَوْمٍ ثِيَابِي ... لَدَى السِّتْرِ إِلَّا لِبْسَةَ الْمُتَفَضِّلِ}[8]

فالكناية في قوله (نؤوم الضحى) وصفت هذه المرأة -رقم ايجازها– بعدة صفات : فهي منعمة، مرفهة ، عظيمة الثروة ، مخدومة ، عندها ما يكفيها أمر بيتها من الخدم والحشم ، ولذلك تنام حتى وقت الضحى .

ولو تجاوز امرؤ القيس هذه الكناية الى التعبير الحقيقي واللفظ الصريح ، وقال : أن هذه المرأة لها من يخدمها، لما استطاع هذا التعبير أن يصل إلى كل ما أدته الكناية من معان ، وصفات[9].

عاشراً : أن يعمد إلى جملة ورد معناها على خلاف الظاهر فيأخذ الخلاصة منها من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة أو المجاز فتعبر بها عن مقصودك ، نحو قوله تعالى:{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}[10]، فإنه كناية عن الملك لأن الاستواء على السرير لا يحصل إلا مع الملك فجعلوه كناية عن الأمر. وكقوله تعالى:{وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[11] كناية عن عظمته وجلالته[12].

---

[1] سورة الإسراء، الآية (29)

[2] سورة المسد، الآية (1)

[3] سورة المسد، الآية (4)

[4] سورة المائدة، الآية (79)

[5] سورة النساء، الآية (66)

[6] سورة البقرة، الآية (24)

[7] الزركشي ، مرجع سابق، ص505

[8] امريء القيس،مرجع سابق (من معلقته)،ص116 نَضَتْ ثوبها: لم تشد نطاقاً للعمل. يعني أنها مرفهة ،منعمة ،مخدمة. عن تفضل:عن ثوب النوم

[9] محمود شاكر القطان ، الكناية مفهومها وقيمتها الأدبية ، القاهرة ، مطابع الإهرام التجارية ، د.ط، 1993م ،ص214

[10] سورة طه، الآية (5)

[11] سورة الزمر، الآية (67)

[12] الزركشي ، مرجع سابق، ص505 ، 506

هذا ما ذكره الزركشي عن أسباب مجيء الكناية في القرآن الكريم ، وهناك أسباب بلاغية أخرى للكناية –عموماً - ذكرها البلاغيون منها :

1- إفادة المبالغة في المعنى ، لأن التعبير عن المعنى الكنائي بروادفه وتوابعه له من القوة والتأكيد ما ليس في التعبير عن اللفظ الموضوع له ، وذلك لأنه يصبح كإبراز الدعوى بدليلها وكإثبات الحجة ببينتها ، وهذا واضح في التعبير عن الكرم (بكثرة الرماد، وهزال الفصيل ، وجبن الكلب) . وعن الترف والتنعم (بنؤوم الضحى)، وعن طول الجيد (بِبُعد مهوى القُرْط).

وترجع إفادة المبالغة في التعبير الكنائي إلى هذه اللوازم والتوابع التي عبَّر بها عن المكنّى عنه ، فهي بمثابة الأدلة والبراهين على تحقيق المعنى وإثباته[1].

2- الكناية وسيلة من وسائل تحقيق القصد في النيل من الخصم والنكاية به من غير أن تمسه مساً ظاهراً مكشوفاً ، ويكون هذا في نوع التعريض الذي ذكر سابقاً ، نحو قول الرسول عليه الصلاة والسلام (المُسلِمُ من سلِمَ المُسلِمُونَ مِن لسانِهِ و يَدِهِ) [2].

3- يُستطاع بأسلوب الكناية التعمية والتغطية وإخفاء ما يود المتكلّم إخفاءه حرصاً على المكنى عنه ورغبة في عدم تردده على الألسنة ، كما في الكناية عن أسماء النساء ، أو خوفاً من الإفصاح بالمكنى عنه كما في الكناية عن الأعداء . ومن ذلك قول الشاعر:

أيا ذَوْدَ لَاتَرْعِي بُوَاحَ بَذَا إذَا نَامَ حُرَّاسُ النَّخِيلِ جَنَاكُما[3]

فطيبُ كُمَا أَرْبَى على النَّخْلِ بَهْجَةً زَادَ عَلَى طُول الْفَتاءِ فَتاكُمَا

فقد كنَّى (بنخلتي وادي بوانة) عن اثنين من صويحباته ، رغبة منه في إخفاء اسميهما ، وحرصاً على حسن سمعتهما بين الناس ، كما كنَّى (بحراس النخيل) عن ذويهما خوفاً منهم وتحاشياً لغضبهم[4] .

4- ومن صور الكناية الرائعة تفخيم المعنى في نفوس السامعين، نحو قوله تعالى(الْقَارِعَةُ. مَا الْقَارِعَةُ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ)[5]، فالقارعة كناية عن (القيامة) وقد عدل عن التصريح بلفظ (القيامة) إلى الكناية عنه بلفظ (القارعة) لا لإثبات ذلك المعنى للقيامة، و إنما لإثبات شاهده و دليله و هو أنها تقرع القلوب و تزعجها بأهوالها، و ذلك تفخيما لشأن القيامة فى النفوس[6].

---

[1] السيوني عبد الفتاح فيود، مرجع سابق، ص265 ،266

[2] تم تخريجه

[3] البيت لعمر بن أبي ربيعة المخزومي في ديوانه ، تأليف: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مصر ،مكتبة السعادة ، ط1، 1371هـ-1952م ، ص492

[4] عبد العزيز عتيق، مرجع سابق ، ص225

[5] سورة القارعة ، الآيات(1 ، 2، 3)

[6] عبد العزيز عتيق ، مرجع سابق ، ص224، 225

5-ومن بلاغة الكناية أيضاً إلباس المعقول ثوب المحسوس، وإخراجه بصورة تزخر بالحياة والحركة، ومن ذلك الكناية بحمالة الحطب عن النمامة التي تفسد ذات البين, وتهيج الشر في قوله تعالى يصف امرأةوأبَيلهبَأَتُه(حَمَّالَةَ الْحَطَبِ)[1]، فالقارئ لهذه الآية يتخيل هذه المرأة وهي ممسكة حطبها بيديها، ومشعلة ناراً لتوقد العداوة والبغضاء بين القوم، وتؤلب بعضهم على بعض. ولا شك أن الآية فيها من لطف التعبير ودقة التصوير ما لا يخفى على أحد[2] .

ومن أمثلة ذلك أيضاً قوله تعالى تصويراً لحال صاحب الجنة عند ما رأى جنته التي كان يعتز بها قد أهلكها اللّفَأَصحْقبَابَلِحَ له يعُقَلِّبشوكُه كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا)[3]. فالكناية في الآية الكريمة هي في قوله تعالىيُقَلِّبُ كَفَّيْهِ) والصفة التي تلزم من تقليب الكفين هي الندم والحزن، لأن النادم والحزين يعملان ذلك عادة. فتقليب الكفين في مثل هذا الموقف كناية عن الندم والحزن .

والمعنى الصريح هنا هو (فأصبح نادماً حزيناً) وهذا أمر معنوي تدخلت فيه الكناية فجسمته وأظهرته للعيان في صورة رجل اعتراه الذهول من هول ما أصاب الجنة التي كان يعتز بها، فوقف يقلب كفيه ندماً وحزناً على أمله المنهار أمام عينيه[4].

إذن فالكناية تعطي ظلالاً لطيفة للمعنى ، وتظهره في صورة حسية ملموسة مع الإيجاز في العبارة يستطيع الأديب المتمكّن أن يحقق من خلالها العديد من المقاصد والأهداف البلاغية.

أثر علم البيان في تأدية المعاني

من خلال دراسة علم البيان يتضح أن المعنى والواحد يمكن أن يؤدى بأساليب عدة، وطرائق مختلفة ، وأنه يمكن وضعه في صورة رائعة من صور التشبيه ، أو الاستعارة، أو المجاز المرسل ، أو العقلي ، أو الكناية. فقد يصف الشاعر إنساناً بالكرم فيقول:

---

[1] سورة المسد، الآية (4)

[2] أحمد مصطفى المراغي ، مرجع سابق، ص 309

[3] سورة الكهف، الآية (42)

[4] عبد العزيز عتيق ، مرجع سابق ، ص224

يريد الملوك مدى جعفرولا يصدنعون كما يصدنع [1]

ولَيْس بأوسعهم في الغِنَى ولكنّ معروفه أوسع

وهذا كلام بليغ جداً مع أنه لم يُقصد فيه إلى تشبيه أو مجاز , وقد وصف الشاعر فيه ممدوحه بالكرم ، وأن الملوك يريدون أن يبلغوا منزلته ، ولكنهم لا يشترون الحمد بالمال كما يفعل ، مع أنه ليس بأغنى منهم ولا بأكثر مالاً [2].

وقد يعتمد الشاعر عند الوصف بالكرم إلى أسلوب آخر ، وهو التشبيه ، فيقول:

كالبحر يقذف للقريب جواهراً وإليبعيد سحائباً [3]

فيشبه الممدوح بالبحر , ويدفع بخياله إلى أن يضاهي بين الممدوح و البحر الذي يقذف الدرر للقريب و يرسل السحائب للبعيد.

أو يقول :

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجّته المعروف و الجود ساحله [4]

فيدعي أنه البحرنفسه ، وينكر التشبيه ذكراناً يدل على المبالغة وادعاء المماثلة الكاملة[5].

أو يقول:

علا فمَ ايسدتقرُّ المالُ في يدوكيف تُمسكُ ماءً قُنَّةُ الجبَلِ [6] ؟

فيرسل إليك التشبيه من طريق خفي ليرتفع الكلام إلى مرتبة أعلى في البلاغة ، وليجعل لك من التشبيه الضمني دليلاً على دعواه , فإنه ادعى أنه لعلو منزلته ينحدر المال من يديه , وأقام على ذلك (وكيف تُمسكُ ماءً قُنَّةُ الجبَلِ ؟)[7].

أو يقول:

أدارهمي بالأولجالكُ الجبالَ إذا ارتحاتُه وبَواكرُه

وجاءك يحكي يوسفَ بنَ محمدٍ أخو ثقةٍ جادَتْكِ ماطرُه [8]

إذ لم يشأ إلا أن يجعل الغيث يشبهه في فيضه ، وبالغ في التشبيه ، وافتَنَّ في الأسلوب، وعكس ما ألفه الناس من تشبيه الجواد بالغيث والبحر[9].

أو يقول :

---

[1] ذكره البغدادي في خزانة الأدب ،ج1،ص297 . ونسبه إلى أشجع السلمي.

[2] أحمد الهاشمي ، مرجع سابق ، ص294

[3] البيت للمتنبي في ديوانه، مرجع سابق، ص111

[4] البيت لأبي تمام في ديوانه ،مرجع سابق ، ج2، ص15وفي رواية الديوان (هو اليَمُّ من أي ....)

[5] أحمد الهاشمي ، مرجع سابق ، ص 294 ،295

[6] ذكره أحمد الهاشمي (بلا نسبة) في جواهر البلاغة ،ص 295، ولم أعثر عليه في الكتب الأخرى.

[7] أحمد الهاشمي ، مرجع سابق ، ص295

[8] البيت للبحتري في ديوانه ، مرجع سابق،ج1، ص513

[9] أحمد مصطفى المراغي ، مرجع سابق، ص 315

كأنه حين يُعْطي المال مُبْتَسماً صَوْبُ الغمامَةِ تَهمي وهي تأْتلِقُ [1].

فيعمد إلى التشبيه المركب (تشبيه التمثيل) ، ويعطيك صورة رائعة تمثل لك حالة الممدوح وهو يجود ، وابتسامة السرور تعلو شفتيه.

وقد يعمد إلى وصف الكريم بأسلوب الاستعارة فيقول :

وأَقْبَلَ يَمْشِي في البِساطِ فما دَرَى إلى البَحْرِ يَسْعَى أمْ إلى البدْرِ يَرْتقى[2]

يصف حال رسول الروم داخلاً على سيف الدولة فينزع في وصف الممدوح بالكرم إلى الاستعارة التصريحية ، والاستعارة كما عُلِم مبنية على تناسي التشبيه والمبالغة فيها أعظم وأثرها في النفوس أبلغ[3].

أو يقول:

للجُودِ بابٌ في الأنام ولَمْ تَزَلْ يُمناكَ مفتاحاً لذاكَ البابِ [4]

فقد جعل للجود باباً مفتاحه في يد الممدوح اليمنى على سبيل الاستعارة المكنية[5].

أو يقول :

نَقَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّواقِيَا[6]

فيرسل العبارة كأنها مثل , ويصور لك أن من قصد ممدوحه استغنى عمن هو دونه, كما أن قاصد البحر لا يأبه للجداول . فيعطيك استعارة تمثيلية لها روعة وفيها جمال ، وهي فوق ذلك تحمل برهاناً على صدق دعواه وتؤيد الحال التي يدعيها[7].

أو يقول:

ما زِلْتَ تُقْبِما تُولي يَداً بيَدٍ حتّى ظَنَنْتُ ذَخائِرَ الله مِنْ أياديكا[8]

فيعدِل عن التشبيه والاستعارة إلى المجاز المرسل ، ويطلق كلمة " يد " ويريد بها النعمة لأن اليد آلة النعم وسببها[9].

أو يقول:

تَظَلَّمَ المالُ والأَعداءُ مِن يَدِهِ لا زالَ لِلمالِ والأَعداءِ ظَلّاما[10]

---

[1] ذكره أحمد الهاشمي (بلا نسبة)في جواهر البلاغة ، ص296. ولم أجده في الكتب الأخرى.

[2] البيت للمتنبي في ديوانه ، مرجع سابق، ص347

[3] أحمد الهاشمي ، مرجع سابق ، ص296

[4] البيت لأبي تمام في ديوانه ، مرجع سابق،ج1، ص52

[5] أحمد مصطفى المراغي ، مرجع سابق، ص 315

[6] البيت للمتنبي في ديوانه ، مرجع سابق، ص443 (وتمامه: وَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ)

[7] أحمد الهاشمي ، مرجع سابق ، ص296

[8] البيت للمتنبي في ديوانه،مرجع سابق ، ص62. ومعنى تُولي : تعطي . اليد: مقصود بها النعمة

[9] أحمد الهاشمي ، مرجع سابق ، ص296

[10] البيت لمسلم بن الوليد في ديوانه ، تحقيق: سامي الدهان ،مصر، دار المعارف، 1958،ص19.

إذ كنَّى عن كثرة عطاياه وقتاله للأعداء وا ٍفنائه إياهم بالتظلم من يده .

وللكناية أثرها البعيد في تثبيت المعنى في النفس وحسن تصويرها ، فهي تهش له وترتاح[1].

مما سبق عُلم أنه من المستطاع التعبير عن وصف إنسان بالكرم -على سبيل المثال- بأساليب مختلفة ومتعددةكلٌ له جماله وحسنُه وبراعته . وهذه الأساليب المختلفة التي يؤدي بها المعنى الواحد هي موضوع بحث علم البيان[2].

[1] أحمد مصطفى المراغي ، مرجع سابق، ص 316

[2] أحمد الهاشمي ، مرجع سابق ، ص297